

ملاحم

الإنقاذ... والإصلاح... والبناء

بقلم: عمار الزريبي

أحيى الشعب التونسي بكل فئاته وشرائحه، بكل أحزابه ومنظماته وجمعياته، يوم 7 نوفمبر 2009 الذكرى الثانية والعشرون للتحويل المبارك، في كنف النخوة والاعتزاز والفرحة العامرة.

ومثلت ومازالت وستبقى هذه الذكرى المحيطة تمثل في وجدان ومشاعر التونسيين جميعا ملحمة رائعة لإنقاذ تونس من المنحدر الذي وقعت فيه، والذي كاد أن يلقي بها في أتون الفتنة والتفكك والضياع.

ولمّت عملية الإنقاذ والتغيير بأسلوب إنساني راقٍ، وفي إطار ديمقراطي سليم، ووفقا لمضمون الفصل السابع والخمسين من الدستور.

وبفضل هذه العملية الملحمة سرعان ما وضعت بلادنا على أرضية صلبة، قوامها الوئام والتسامح والتضامن والتآزر والرغبة المشتركة، والتفاني المشترك من أجل حماية تونس ومناعتها حاضرا ومستقبلا.

ومثلت ومازالت وستبقى هذه الذكرى المحيطة تمثل في وجدان ومشاعر التونسيين جميعا ملحمة رائعة أصلحت ما شاب مسيرة تونس من تحاوزات وانحرافات نالت من سيادة الشعب، وكادت تعصف بمؤسسات الدولة وتبدد آمال الشعب في العزة والكرامة والرخاء.

وبفضل هذه العملية الملحمة، أنجز الإصلاح والتفصيل بطريقة مثلى جمعت بين التمسك بالتراث والحفاظ على الإرث الحضاري لتونس الذي يمتد على

مسافة زمنية تتجاوز ثلاثة آلاف سنة، والاعتراف بتحميل جميع المصلحين والزعماء والمناضلين والمقاومين الذين بذلوا النفس والنفیس من أجل حرية تونس وعزتها، وبين القطع مع جميع الأسباب والعوامل والأخطاء التي مست الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لبلادنا، وبسرعة فائقة أعيدت إلى الشعب سيادته وإلى الدولة هيبتها، وإلى القانون علو يته.

ومثلت ومازالت وستبقى تمثل هذه الذكرى المجيدة في وجدان ومشاعر التونسيين جميعا ملحمة رائعة لانطلاق مرحلة البناء والتحديث بأسلوب قوامه التعويل على الذات أولا وأخيرا وتعبئة جميع الإمكانيات والموارد على قلتها والنخاعة والمردودية وتكريس العدالة في توزيع خيرات البلاد بين الجهات والفئات والأجيال والربط الوثيق بين البعدين الاجتماعي والاقتصادي.

وبفضل هذه العملية الملحمية، تبوأ تونس في وقت وجيز منزلة مشرفة وتمييزة على المستوى الإقليمي والقاري والعالمي، ووفرت لنفسها أسباب وعوامل الأمن والأمان والاستقرار والنماء الشامل في محيط اتسم بشيوع الاندالات الأمنية والركود الاقتصادي والتفكك الاجتماعي.

وما ميز احتفالات الشعب التونسي هذه السنة بذكرى تحول السابع من نوفمبر المبارك على سابقاتها، ألما كانت امتدادا لاحتفالات وأهازيج عرس الديمقراطية الذي عاشته تونس بمناسبة الانتخابات الرئاسية والتشريعية التي جرت يوم 25 أكتوبر 2009، والتي أظهرت للعالم أجمع مدى نضج ووعي التونسيين، وتمسكهم بقيم المواطنة الأصيلة، فالناخبون على اختلاف اتجاهاتهم كانوا في أعلى درجات السلوك الحضاري والمترشحون على اختلاف ألوانهم أجمعوا على محبة تونس والذود عن استقلال قرارها ورفع

ميراثها، والتفاني في خدمة الشعب، والتزمّت الإدارة في كل مراحل العملية الانتخابية بالحياد المطلق، ومكنت الجميع بصورة متكافئة من كل الوسائل التي ساعدتهم على القيام بمشاركتهم في أحسن الظروف، وهو ما أبحر العالم كله، وأعجب القاصي والداني، ونوه به المراقبون والملاحظون، وهو ما أغاض الحاسدين والحاقدين وأصحاب النفوس المريضة، الذين يقلقهم كل عمل ناجح.

وليعلم هؤلاء القلة من أبناء جلدتنا الذين غادروا وطنهم عن طوعية واختاروا التسكع على أرضقة بعض المدن الغريبة ورضوا بتناول فئات موائد أبناء وأحفاد المعمرين وغلاة الاستعمار. وليعلم الحاسدون والحاقدون الذين مازالوا يعيشون في وهم العودة إلى زمن الهيمنة والاستغلال، إن الشعب التونسي الذي تربي على الديمقراطية ومارسها منذ عهد قرطاج، وتمسك بها حتى في أحلك المهود وأحرج الأوقات، وقدم جسيم التضحيات من أجل حريته وكرامته واستغلال قراره، والذي له من التضج والوعي والذكاء وعلو الهمة والجرأة ما يجعله يسفه إعلام الحاقدين والحاسدين، ولا يتقاد الانقياد الأعمى لهذا أو ذاك، لأنه يدرك تمام الإدراك مع من تكون مصلحته ومن الأقدر على تلبية رغباته وتحقيق طموحاته، وقيادته على الطريق السوي.

لذلك كان الوفاء للرئيس بن علي ثابتاً وكانت المبايعة له رائعه لأننا كسبنا في ظل قيادته رهان الإنقاذ والتغيير ورهان الإصلاح والتصحیح ورهان البناء والتحديث، وسنكسب معه رهان المرحلة المقبلة "معا لرفع التحديات".



مكاسب التغيير شملت الجميع والجميع مطالب بدعمها وتنميتها

بقلم: البشير الأخضر

يتميز إحياء الذكرى الثانية والعشرين للتحول السابع من نوفمبر بتزامنه مع النجاح الباهر لطابع هذه الذكرى سيادة الرئيس زين العابدين بن علي في الانتخابات الرئاسية ليوم 25 أكتوبر 2009، وهو نجاح يعكس من خلال ارتفاع نسبته وخصوصا ارتفاع نسبة المشاركين في هذه الانتخابات مدى تعاوب التونسيين مع السياسة الحكيمة التي ينتهجها سيادة الرئيس وكذلك مدى تقديرهم لأهمية المكاسب والإنجازات التي تحققت في البلاد خلال سنوات التغيير.

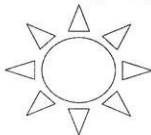
فقد شهدت هذه السنوات تطوراً واضحاً تدركه العقول من خلال تحليل مؤشرات التنمية وخصوصا مؤشرات التنمية البشرية التي تم بالأساس نسب التمدد ونقص نسبة الأمية ونسب التغطية بالماء الصالح للشرب والتوزيع الكهربائي وكذلك تطور الخدمات الصحية والتغطية الاجتماعية، وتدركه العين المبردة لكل من يتحول في ربوع تونس الخضراء لتتشرح نفسه لما يشاهده من إنجازات في مجال تجهيل المدن ومدّ الطرقات والمسالك في عمق الريف التونسي ودعم المرافق الأساسية لمتساكنيه انطلاقاً من إنشاء المساكن الجديدة المعوضة للأكواخ وتوفير الخدمات الصحية ووصولاً إلى إحداث موارد الرزق والتهوض بعناصر الإنتاج.

الجميل في مكاسب التغيير هو ما تتميز به من شمولية، شمولية لكل المناطق وشمولية لكل الفئات الاجتماعية ولكل الأجيال والميادين أيضاً.

فشباب تونس نحال من الحصة خلال سنوات التغيير ما جعله عنصرا فاعلا في المجتمع، متسلحا بالعلم والمعرفة ليكون من العناصر الأساسية الدافعة لمسيرة التنمية، وكذلك المرأة التونسية التي تعزز حضورها في المجال المدرسي والجامعي وكذلك في مواقع القرار والمسؤولية لضمان التقدم وبلوغ الأهداف المرسومة.

مكاسب التحول امتدت إلى الجميع، فهي شملت ميادين الإنتاج من فلاحية وصناعة وخدمات لتشجع أرباب المهن والباعثين والمستثمرين للمبادرة وإحداث المؤسسات والرفع من الإنتاج واقتحام الأسواق الخارجية بعد تأمين حاجيات البلاد، وهي أيضا شملت أهل الإبداع والمثقفين بما توفرت لهم من حوافز مشجعة على الإبداع والإنتاج الثقافي من خلال الترفيع في حفظ الثقافة ضمن ميزانية الدولة وإقرار جملة من الإجراءات لرعاية أهل الإبداع في مختلف القنون، المكاسب شملت أيضا البحث العلمي الذي يعد بدوره أحد المفاتيح المهمة في منظومة التنمية الشاملة والمستدامة.

الجميل أيضا أن هذه المسيرة الموفقة ستتواصل بروح العزم والتفاؤل التي يحملها البرنامج الانتخابي لسيادة الرئيس (2009-2014)، بمحاوره الأربعة والعشرين التي تبشر بمرحلة جديدة من العمل والانجاز لتحقيق المزيد من طموحات الشعب التونسي إلى ما هو أفضل وأرقى، والأهم من كل ذلك دعم مكانة الوطن العزيز بين الأمم وضمان مناعته الدائمة.



النظرية الخلدونية في التاريخ واللغة والتفسير

بقلم: أ. عبد الكريم العطاوي

يوحي لنا هذا العنوان بأن صاحب هذه النظرية، هو العلامة عبد الرحمان بن خلدون المولود بتونس في 732 هـ الموافق لـ 1332 م - والمتوفى بالقاهرة في 808 هـ الموافق لـ 1406 م. كان ينتمي أصلاً إلى أسرة أندلسية، قد وفدت من أشبيلية إلى تونس في عهد أبي زكرياء الحفصي أحد خلفاء الدولة الحفصية التي حلت محل الدولة الموحدية، والتي امتد نفوذها السياسي والاقتصادي والروحي من تونس إلى الجزيرة العربية.

تقلدت هذه العاقلة مناصب سياسية وإدارية، واشتهرت بالعلم والأدب - مما جعل إبسنها عبد الرحمان بن خلدون يخطر وقتئذ بجامع الزيتونة كطالب علم، فحفظ القرآن الكريم: "وتعلم القراءات السبع على الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد بن برآل الأنصاري، والعربية على والده، وغيره من الشيوخ: منهم إمام العربية والأدب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر الذي أشار عليه بحفظ الشعر، كما أخذ الفقه عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجبائي وأبي القاسم القصير، وأخذ النحو والحديث عن أبي محمد الحضرمي إمام المحدثين والنحاة بالمغرب، والعلوم العقلية عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأيلي"⁽¹⁾.

بحكم هذه المعطيات العلمية التي تحصل عليها ابن خلدون الذي تولّى مناصب سياسية وإدارية سامية مثل القضاء والوزارة والسفارة والتدريس بجامع الزيتونة المعمور الذي أهله إلى مصاف الشيوخ الكبار، وجعله تونسياً

حق باتقان أهل الحل والعقد - مما دفع الدولة التونسية الحديثة إلى نصب تذكارات بشارع الحبيب بورقيبة تخليداً لذكراه، وإثباتاً لانتصانه إلى هذا الوطن التونسي إلا أنه كسائر الأعلام الكبار، تنقل من بلد إلى بلد، فقضى 24 سنة بتونس و26 سنة بالمغرب الأوسط والأقصى والأندلس و24 سنة بمصر، حيث اشتغل بالتدريس بجامع الأزهر.

بحسب هذا التعريف، يحق لنا أن نسأل عن العلوم التي شغلت ذهنه يومئذ، فكانت كثيرة جداً إلا أنني سأقتصر كعادتي على البعض منها مثل التاريخ واللغة والتفسير. فنقول: ما مفهوم التاريخ عنده؟ ولماذا انتقد زملاءه المؤرخين؟ وما هي نظريته اللغوية؟ وهل كانت اللغة عنده مستقلة بذاتها أم مرتبطة بالمجتمع الإنساني؟ - ولماذا وقف عن قضية التفسير موقفاً مبانياً لطريقة المفسرين؟ أيدل ذلك الموقف على التمسك به إلى النهاية؟.

1/ مفهوم التاريخ عنده:

نقول إن مفهوم التاريخ عنده، لا يراه في الظاهر، كما قال: "إن التاريخ في الظاهر لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى"⁽¹⁾، لماذا؟، لأنه يرى خلاف ما يراه المؤرخون القدامى الذين سلكوا هذا المنهج التقليدي في أخبارهم التاريخية التي لا تفي بالمقصود المطلوب، ولا يمكن الاعتماد عليها ولا الأخذ بها لماذا؟ لأنها أشبه شيء عنده بقصص القصصين البدويين الذين يعرضون رواياتهم بدون سند، فيأخذها اللاحقون عنهم، ويؤدونها إلينا كما سمعوها. يبدو لي أن ابن خلدون بهذا الموقف البناء يعتبر في نظري ونظر غيري من أكثر المصلحين للتاريخ الذي جعل له منها علمياً يقيه من الزلات والأخطاء التي وقع فيها كثير من المؤرخين السابقين لعهده. لأنهم: "لم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا الأحاديث ولا الأخبار وتحليل والتقليد عربق في الآدميين

بهذا الرد الجريء من مؤرخنا على أولئك المؤرخين، يثبت لنقارئ أن عملهم ضعيف جداً. لا يمكن الاعتماد عليه ولا الأخذ به - لأن التاريخ الحقيقي عنده يظهر في باطنه الذي هو: "نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادلها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها"⁽⁴⁾. لم يقف ابن خلدون عند هذا الحد من الرد عليهم فحسب، بل دعم آراءه في كتاب. عبر فيه عن العلل وأسباب نشوء الدول وما يحيط بها من قريب وبعيد، وشرح فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية، وقد سقى كتابه هذا: "بكتاب العمر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"⁽⁵⁾.

يتحلى لنا أن ابن خلدون، قد استعمل كثيراً من العلوم العقلية مثل المنطق والفلسفة وعلم الكلام والنقد الأدبي وعلم الجرح والتعديل، في بحوثه التاريخية، التي أخرجته من دائرة التقليد إلى دائرة البحث المعمق، جاعلة منه علماً من أعلام النقد التاريخي، الذي صبَّ جام نقد علمه على المؤرخين السابقين لعصره مبيّناً قصورهم عن الحقيقة التاريخية. لماذا؟ لأنه يرى.

2/ انتقاد المؤرخين:

أن التاريخ محتاج: "إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن الزلات والمغالط."⁽⁶⁾ بهذا الاعتقاد الراسخ، كان مؤرخنا معتصماً بتلك المعاني اعتصاماً قوياً، جعلته في مأمن حصين من المغالط التي وقع فيها زملاؤه المؤرخون وأئمة النقل: "من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميماً ولم يعرضوها على أصولها"⁽⁷⁾. كما وقع ذلك للمسعودي الذي ذكر في بحوثه التاريخية أن جيش بني إسرائيل الذي كان متواجداً في النيه

زمن موسى عليه السلام. قد بلغ عدده ستمائة ألف جندي. في حين أن هذا العدد لا أساس له من الصحة لأن جيش الفرس يومئذ لم يبلغ هذا العدد وأن الفرس كانت وقتئذ من أكبر الدول وأكثرها عددا مما جعلها من الدول الاستعمارية، التي استولت على القدس. وشردت بني إسرائيل. إن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن تلك الحقائق التاريخية المعروضة علينا لا أساس لها من الصحة، بل تعدّ من باب القصص الخيالية.

لم يختص المسعودي وحده بهذه الحقائق التاريخية الضعيفة الواهية، بل وقع فيها جمع آخر من المؤرخين أمثال الطبري والجرجاني وابن الكلبي والبيهقي الذين أثبتوا أن صنهاجة وكتامة من حمير. في حين أن هذه الأخبار كانت واهية أو موضوعة. مما جعل ابن خلدون يقف منها موقفًا مضادا معترضا محتاطا منها منبها قراءه بقوله: "فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار وأعرضها على الثوابين الصحيحة يقع لك تحصيلها"⁽⁸⁾.

هذا كان مؤرخنا يبين زملاءه بألا يطمئنا إلى تلك الأخبار والروايات التي كانت تلقى إلى مسامعهم وأن لا يسلموا بها تسليمًا، بل يواجهوها باستعمال الاستقراء والجرح والتعديل ليظهر صحيحها من سقيمها، وليكونوا في مأمن وحصانة من الغلط الذي أصاب زملاءهم، وجعل بذلك رواياتهم التاريخية غير موثوق بها.

1/ نظرية ابن خلدون اللغوية:

هذا نحاول أن نبين قدر استطاعتنا مقومات النظرية الخلدونية في اللغة، فنقول إن اللغة عنده ليست مستقلة ولا منفصلة تماما عن المجتمع الإنساني الذي انبثقت عنه.

بفضل اتصاله وارتباطه بعضه ببعض - كثير من العلوم الإنسانية التي تكثر وتزداد. حيث يكثر العمران البشري وتعمم الحضارة الإنسانية. بناء على

ذلك يرى ابن خلدون ارتباط اللغة بذات الكيان الاجتماعي الكبير. وجانباً هاماً: "من كل ما يحتاجه الإنسان عند تجاوزه مستوى أخاخي إلى المستوى الكمالي وفي هذا ابتكار واضح في نظرية ابن خلدون إلى طبيعة الأشياء... التي جعلت الموضوع ذا نبوية متماسكة"^(٩). باعتبار أن الإنسان كائن حي عاقل، يمتاز عن بقية الحيوانات الأخرى بفكره الذي: "يهتدي به لتحصيل قوته والتعاون عليه بأبناء جنسه"^(١٠). مستعملاً في ذلك اللغة التي يعبر بها عن كثير من المعاني والتعاون والبقاء. ولولا اللغة لم يحصل على شيء من التعاون المشار إليه. كل ذلك كان مدركاً تمام الإدراك من ابن خلدون الذي نظر إلى لغة العرب، فوجدتها عاجزة قاصرة عندما اختلطت بالأمم الأخرى لأنها قد تطرق إليها الفساد فأصبحت بالتالي لغة القرآن والسنة النبوية منغلقة على نفسها غير مفهومة. فاحتيج بذلك إلى علوم أخرى كالنحو والمعاجم والصرف، للتطياء على اللحن الذي دب في الجملة، والإهمال الذي أصاب الكلمة. هذه العلوم وجدت عند اختلاط لغة العرب بلغات الأمم الأخرى فأصابها اللحن والإهمال من حيث لا تدري. عندئذ أذن عليّ كرم الله وجهه أبا الأسود الدؤلي ومن معه بهذه المهمة التي تتمثل في إيجاد علم النحو والمعاجم لحفظ اللغة من الإندثار فقاموا بهذه المهمة على أحسن ما يرام. وبذلك عاد للغة العربية صفاؤها وحيويتها فأصبحت قادرة على تفسير القرآن وتدوين الحديث النبوي.

إلا أن هذا الجهد الكبير كان غير كاف في نظر ابن خلدون الذي رأى: "أن الخلل كان أفدح في نظره عندما تجاوز مسألة الإعراب إلى مادة اللغة ذاتها، فكان لا بد أن تقيد في معاجم حتى لا تندثر بتعاقب الأجيال فوضع الخليل بن أحمد القراهيدي كتاب العين. وميز فيه انهملاً من المستعمل"^(١١). ونسج

عسى مثوله جمع من ذوي الخبرة كالجرجاني وابن سيده وغيرهما كثير.
 لكن الخليل: "هو الذي هذب الصناعة وكمل أبوابها وأخذها عنه سيبويه
 فكمّل تقاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدا"⁽¹²⁾.

2/ استقلال اللغة وارتباطها بالمجتمع الإنساني:

عندئذ كان ابن خلدون يوظفها توظيفاً اجتماعياً، وذلك في المسألة
 التالية: "إذا كنا نخطب المرء العارف: "بمعنى الألفاظ المنطوقة، كانت
 اللغة وسيلة تواصل بين المتكلم والمستمع، ولا زالت إمكانية التفاهم بين
 الطرفين، وإذا كان ذلك المدلول غير معروف لدى المتلقي. صارت
 الصعوبة مزدوجة في تلقي العلوم والمعارف، تبين لنا أن ابن خلدون
 مدرك تمام الإدراك لهذه المسألة الخطيرة التي تتميز بها اللغة. والابتكار في
 هذا النطاق يكمن في كونه قد عمد إلى تخصيص هذه القضية بالتحليل
 والتوضيح"⁽¹³⁾. الذي أفضى به إلى أن اللغة مرتبطة بالمجتمع الإنساني،
 وليست مستقلة بذاتها. كما كانت عند الناس من قبله، والذي يدعم
 هذا ما أشار إليه صلاح داود في موضوعنا هذا بقوله: "لعل البعض
 منهم لا يتصور وجود علاقة بين موضوع اللغة واللسان من ناحية
 والعمران البشري من ناحية أخرى" واستطرد قائلاً في فقرة أخرى: "فقد
 ركز ابن خلدون كل التركيز على الجوانب الاجتماعية للصرفه. بعيداً
 عن الانحياز والتعصب والانغلاق. لأنه نظر إلى الأمور بمنظار
 المراقب الواقعي والمحلل الاجتماعي". الذي يدلنا على أنه جمع بين مميزات
 المحلل الاجتماعي والناقد اللغوي والرائد العلمي فكان هذا العمل مظهراً
 حلياً من مظاهر التكامل والترابط في تقييم هذه المسألة اللغوية. أقول

باختصار أن ابن خلدون بما له من إلمام بهذه المسألة وبغيرها من المسائل العلمية الأخرى كانت نظريته اللغوية تمتاز بالعموم والشمول والدقة والنظر الثاقب الذي جعله في مصاف النقاد الكبار الذين كثيراً ما كان يؤيدهم البحث العلمي الصرف. كما أيد مؤرخنا هذا في هذه المسألة التي وفق فيها، حيث جعلها مرتبطة بالمجتمع الإنساني. نظراً لما كانت تؤديه اللغة من خدمات جليلة جداً بين المجتمعات الإنسانية متمثلة في ربط العلاقات الوطيدة بواسطة اللغة الجامعة بينهم. مما حدى بهم إلى دراستها وإيجاد قوانين تقيها من الأخطاء، وتحفظها من الاندثار متمثلة في علم النحو والمعاجم. بعد هذا نريد أن نتعرف عن موقفه من التفسير، فنقول.



3/ موقفه من التفسير:

إن التفسير جزء من الحديث النبوي الذي تعرض إلى تحريف من بعض الكتاب القدامى. من ضمنهم ابن خلدون الذي رأى: "أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم. فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه" (14).

لكن ابن قتيبة الذي تقدمه بقرون خالفه بقوله: "إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض" (15).

لقد شعر ابن خلدون فيما بعد، فصّرّح بقوله: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يبين الجمل ويميّز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه فعرّفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه" (16).

هذا الاعتراف الضمني من ابن خلدون، إن دل على شيء فإنما يدل على أن الصحابة كانوا لا يكفيهم في معرفة معاني القرآن معرفتهم بلغته، بل كانوا محتاجين إلى توقيف وتوضيح من الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا الموقف من ابن خلدون هو خير رد على ما ادعاه في موضع آخر من مقدمته كقوله: "... وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين، وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سمينا. لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأنخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط" (17).

لكن الذي يميل إليه النفس ويختاره، أن الإسرائيليات التي دخلت إلى الثقافة الإسلامية إبان عهد الصحابة رضي الله عنهم بغرض الكيد والتشكيك في الدعوة الإسلامية. قد ركزت حملتها على الحديث النبوي، وبخاصة على التفسير الذي يعتبر جزءا من السنة النبوية. لكن الصحابة رضي الله عنهم كانوا على علم ودراية من هذا التخطيط الذي يحمل بين طياته التخريف والوضع المقصود، فتصدوا له بكل جرأة ورصانة وتعاملوا مع الكتب السماوية السابقة، فأخذوا منها ما هم في حاجة إليه على شرط ألا تتعارض تلك النصوص مع العقيدة الإسلامية وإن تعارضت تلك النصوص المأخوذة من الكتب السماوية مع العقيدة الإسلامية، فلا يمكن الأخذ بها كما جاء في الحديث النبوي الآتي: "أمتهم كون⁽¹⁾ فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يبطل

فتصدقوا به. والذي نفسي بيده، لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني" (18).

هذه الأحاديث النبوية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الصحابة عامة، وابن عباس خاصة، لا يرجعون إلى أهل الكتاب في كل شيء، وإنما يرجعون إليهم فيما حددته الشريعة لهم فلم يتجاوزوا البتة، وهامو ابن عباس يدحض حجة أحمد أمين وابن خلدون معا في قوله: "يا معشر المسلمين تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: "هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا" البقرة/ 79. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم".

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذا التحذير الجريء من ابن عباس لعلماء المسلمين عن مساءلة أهل الكتاب لهم خير دليل على بطلان تلك الدعاوي المناوئة له، لأنه كان يقف من أقوال أهل الكتاب موقف الناقد الزهيد. إذ لا يقبل منهم إلا ما كان يؤيد بعض الحقائق القرآنية، ولا يأخذ منهم أبدا إن وجد نظيره في الكتاب والسنة، كما أنه كان لا يقبل تلك الأخبار المتعلقة بالعقيدة أو الماسة بالأحكام الشرعية، وإنما كان يأخذ ما وقف عنده القرآن موقف الإنجاز، ووجد نظيره في الكتب السماوية الأخرى مبسطة ومطلبا على شرط أن يكون ذلك الإطناب موافقا للاتجاهات القرآنية، ألم يدل هذا على أحسن رد على ابن خلدون الذي يبدو أنه لم يتثبت

في المنهجية الإسلامية الحديثة المتسكة بعلم الجرح والتعديل والنقد البناء التزيه الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا وأعطاها حقها من التحليل والدرس حتى تكون نتائجها مقبولة علميا. لهذا يحق لنا أن نقول إن العلامة ابن خلدون الذي لم يترك علما من العلوم إلا وأعطاها حقه من الدرس فقد كان مدرسة لأهل الشرق والغرب وآية من آيات علماء تونس الأفاضال الذين قدموا خدمات جليلة للإنسانية قاطبة.

الهوامش:

- 1/ ابن خلدون: التعريف بابن خلدون: نشر: دار الكتاب اللبناني 1979 ص 17-22.
- 2/ مقدمة ابن خلدون ص 3-4- دار القلم ص ب 3874 بيروت- لبنان.
- 3/ نفس المصدر ص 4
- 4/ نفس المصدر ص 4
- 5/ نفس المصدر ص 9
- 6/ نفس المصدر ص 9
- 7/ نفس المصدر السابق ص 13-14 <http://Archivebeta.14>
- 8/ داود صلاح: المسار 2006/37 ص 12
- 9/ نفس المصدر السابق ص 12
- 10/ داود صلاح: المسار 2006/73: ابن خلدون ونظرية اللغوية ص 13
- 11/ مقدمة ابن خلدون ص 515 ط دار الشعب القاهرة
- 12/ نفس المصدر السابق ص 14
- 13/ ابن خلدون: المقدمة 439
- 14/ الذهبي: التفسير والمفسرون 1/ 36
- 15/ ابن خلدون: المقدمة 439
- 16/ مقدمة ابن خلدون ص 9
- 17/ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري 329/6
- 18/ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري 291/5

{والفنان الأستاذ عبد الستار ألهاني به سمينار الذاكرة الوطنية وتاريخ الزمن الحاضر الذي يتعلّق بمسائل لها صلة وثيقة بتاريخ الجهة}

سمينار الذاكرة الوطنية وتاريخ الزمن الحاضر

مع السيد: عبد الستار ألهاني حول

دوره في النضال الوطني

السبت 1 أوت 2009

إعداد: د. عبد الجليل التميمي

عمتم صباحا، دائما في إطار سمينارات الذاكرة الوطنية، نسعد اليوم بحضور الشيخ عبد الستار ألهاني الذي شرفنا في الماضي في زغوان، وقدم لنا بعض ذكرياته ونظرا لما أنارته شهادة السيد أحمد القيسي من ردود فعل وآراء متقاطعة وجديدة في هذا المجال: حول صياط الظلام والشيخ حسن العيادي، وجملة الملابس التي حامت حول هذا الملف الذي يثار لأول مرة بصفة علنية وبشكل مختصر جدا في زغوان. ونحن نسعى دائما لتأطير الحقيقة رغم المواقف التي أثّرت خلال الأسبوعين الماضيين في إطار سمينارات الذاكرة الوطنية والتي هي شرف لتونس، ونعلم جيدا أن تأطير الحقيقة له تداعيات عميقة جدا، على مستوى الهياكل في البلاد وعلى مستوى الشرائع الاجتماعية والثقافية، يؤكد لي أن رؤيتنا استراتيجية عملنا واضحة، وسنواصل هذا العمل على الرغم من عدم إدراك بعض الأشخاص لقيمة هذه السمينارات. وأعطي مثالا بسيطا على ذلك. المرحوم عبد العزيز بوراوي استضافناه 6 مرات وقدم لنا شهادة لن نجد نظيرا لها على الإطلاق حول العمل النقابي، وحيث قدم على هذا المنبر شهادة

رائعة وإن شاء الله ستصدر في كتاب قريبا.

من هذا المنطلق، نحن لا نريد إلا تأطير الحقيقة ونريد أن نعرف منكم الحقيقة أنتم يا صانعي الأحداث وفاعليها، أنتم عشتم هذه الأحداث، إن صباط الظلام ورغم ما لهذا الاسم من وقع على النفوس وما له من ضبابية وغموض، نريدكم يا سيد عبد الستار من منطق معرفتك بالمكان وبالشيخ حسن العيادي أن تساعدونا على تجلية الحقيقة، (كما أشكر السيد مختار بن سعد الحامي على تشريفه لنا لأول مرة في هذه المؤسسة وسيشرّفنا إن شاء الله في الأسبوع القادم ليحدثنا عن كتابه الذي سيصدر قريبا والذي يتناول فيه موضوع اليد الحمراء، وهو موضوع جديد لم يتناوله أحد على الإطلاق، ما عدا ربما بعض الشذرات ونحن من هذا المنطق فنؤكّد لتجميعك هذه المادة في كتاب، وتفضلك بإعطاء بعض المسات وبعض الأفكار حول هذا الكتاب، فشكرا للسيد مختار على وجوده بيننا هذا اليوم). والكلمة

لسي عبد الستار الهادي <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

السيد عبد الستار الهادي:

بسم الله الرحمن الرحيم. لقد تشرفت اليوم بأن أدعى لتوضيح بعض حقائق الحياة السياسية في تونس بما سمحت لنا به تصاريّف القدر أن نكون جزءا صغيرا في هذه الأحداث.

لما قامت الثورة المسلحة بالجنوب والوسط التونسيين، كنا في أشدّ الشوق إلى رؤية الثوار، إذ كان جديدا ومذهلا أن يحمل التونسي السلاح جهارا نهارا في وجه القوة الاستعمارية، ضد جيش وحرس وشرطة ولا يقبض عليه في لحظات، وكنت أفكر في الاتصال بهم عند أصدقائي بالحفي وسيدي بوزيد، وحانت العطلة الصيفية فرجعت إلى سليانة وقريني بالقنارة، مشيخة سيدي حمادة، وأنا مشغول بالموضوع والترتيب له في سرية.

و ذات يوم كنت ضيفاً عند ابن خالتي المرحوم الناصر البحري مع جمع من الأقارب، إذ أتى قريبي المرحوم "حسونة الجليلي الخاني" وكان معروفاً بالشدة وبشيء من الصلابة، وطلب أن يكلمني على انفراد، فظننت أن في الأمر خصاماً بين الأجيال. ولما انفردت به كانت المفاجأة مذهلة، إذ لم تكن نتوقع أنهم وصلوا إلى جبل السرج، قال لي "حسونة" المذكور أنهم يطلبون لقائي الليلة، فرتبت معه الموعد بأن يكون اللقاء قرب منزلنا بالقنارة عند منتصف الليل. وتم اللقاء ورتبنا فيه طرق مدهم بالموونة وما يجمع من الأسلحة، وإني أصف روعة هذا اللقاء في مقدمة القصيد الذي نشر في جريدة الشروق في 18 نوفمبر 1993 تحت عنوان "تحركات في القواعد الخلفية للثورة الوطنية" بجبلي برقوق والسرج المتلاصقين حيث أقول:

بوادي قنيرة صرخت طلوع
تلعلع في الفضاء فهي البروق
تحتك في النفوس متارقه
يكثف منك الزمن السحيق
وكان التونسي حليف القهقر
إذا سليم المهانة لا يضيع
ويرفع للمعمر صوت القهر
على ظهر البريء وذا يطيق
وأومضت المروءة في قلوب
لتحمي الدار من خطر يحيق
وفي الأغبال قد عمرت بطاح
بفتيان لهم مجدد عريق
أتاني منهم مبعوث سر
لألقاهم إذا هجع المفيق
فأي ثم أي شعور زهو
عوى صدري فضج به الصفيق

ثم يدخل القصيد في تفاصيل اللقاء وما نتج عنه من تحركات وهو في نحو سبعين بيتاً. بعد هذه المقدمة أخلص إلى عرض بعض المواقف التي صدرت من أثناء التشاور مع قيادة الثورة، سواء الموجود بالجليل أو المستقرة بالعاصمة. وهذه المواقف بعضها تضمنها القصيد المذكور أما وبعضها لم يتضمنه.

الموقف الأول:

أشرت إليه في نص القصيد، وصورته أن الشيخ "عبد القادر زروق"، وهو رئيس الشعبة في منطقتنا، وهو لا يزال على قيد الحياة إلى يومنا هذا وقد بلغ سنه حوالي 95 سنة وهو مريض ونتمنى له الشفاء، الذي كان مبعدا عن سليانة إلى تونس وأرسل إليّ يطلب لقائي بمثلنا هناك أي في تونس. وكنت أظن أن معرفة الثوار لاسمي ناتج عن توجيه منه ومن المرحوم "الطيب بن غرسة"، وهو من المقاومين وكان هاربا في تونس، دون غيرها. لكن المناضل الكبير السيد "مختار الحامي"، رئيس المناضلين بولاية بن عروس حاليا، قال لي أن منظمة المقاومين بالعاصمة وجهتهم لك أيضا، لما يعرفون عنك وفيك من إخلاص وجرأة في نضالك الحزبي بالزيتونة.

اجتمعنا بمثلنا بتونس العاصمة، في منفلوري بالتحديد، الشيخ حسن والشيخ زروق وأخي المرحوم "عبد الحميد الخافي" والمرحوم "الطيب غرسة" من جانب وحسن العيادي والمطواسي ومناضل من أمثال بورقية اسمه "عمر وزغان" أو "ورغان" من جانب آخر، وتوزع الحراس في الحديقة والشرفة وهم على أهبة الاستعداد لحماية "العيادي" القائد الأعلى للثوار بجبل برقو وجبل السرج. وصدرت عن المرحوم "الطيب بن غرسة ملاحظة جارحة حول بعض الأسماء المعروضة للتعاون معها في تمويل الثورة ويؤمن جانبها. وكان رأي أن نوسع قاعدة التعاون ونكلف لكل شخص نشك فيه قريبه أو صديقه لكي يتقيد به. وفي هذا المعنى أقول:

وزروق دعاً ملقى بنهج الساحل المعروف حقا

وأثناء الغداء همى نقاش وغرسة راغب من هو أنقى

وأبدت الترفع عن جدال يشئت شملنا ويشل شقا

كنت أرفض الجدال وأرفض الدخول في طريق الشتم والانتقاد والاختلاف.

وبهذا نضمن فتح الباب أما الأكثرية ونبعد الأحقاد والأغراض الخارجة عن مصلحة الثورة. واستقر الرأي بأن عيّنت لهم عشرة أشخاص ممن يؤمنون على السر ويقدرّون على تمويل الثورة دون الحاجة لغيرهم، وتم تمويلهم بانتظام عن طريق الجامعة الدستورية لسليانة وياشر ذلك أخي عبد الحميد وكان كاتب عام الجامعة، ويتصل به ضابط الاتصال للمنظمة الأخ عبد الجليل خليل شفاه الله والذي كان دائم الذهاب والإياب بين تونس و سليانة، حيث كان يحمل معه الأموال من الشعبة والسلاح كذلك، وهو يقطن في باردو وهو حاليا في فراش المرض، ولقد ترقى لحسن سلوكه إلى رتبة قبطان في الجيش التونسي أي أنه لم يعاقب كما عوقب حسن العيادي.

الموقف الثاني:

صورته أن القائد "محمد صالح مزالي" وهو أخ الوزير الأول الأسبق "محمد مزالي" كان أيامها بسليانة والربع. ولما شوع المقيم أو بالأحرى مبعوث فرنسا "دي لاتور" De La Tour في حوّلته بالبلاد التونسية، أعطى الحزب تعليماته باستقباله والمناداة باستقلال تونس وحياة الحزب ورجاله إثباتا لتمثيل المطالب الحزبية لكل ما تنادي به طبقات الشعب التونسي. وكان وصوله إلى سليانة في يوم حار، وحضرت سائر طبقات المواطنين من كبار وصغار وقضاة وعدول... في انتظار المقيم العام حتى يبينوا مساندتهم للحزب ولزعيمه الحبيب بورقيبة وعند قدوم أفراد الشبيبة الدستورية. كما حضرت الشبيبة الحزبية بقيادة "محمد بن عباس" اعترضه القائد المذكور إلى القاعدة المبردة واستقبلهم بحفاوة. أما المعمرون فلم يحضروا لغضبهم من تصرف "دي لاتور" معتبرين أنه سيزيد بحضوره، من شعبية الحزب ومطالبه. وكان مندوبو الصحف قد شاهدوا بداية الحفل ولم يحضروا حادثة الطرد، فأدرك أخي "عبد الحميد" أهمية الموقف، وسعينا إلى إعلام مندوب جريدة

"الأخبار"، وهي جريدة وطنية يديرها السيد "عز الدين السويسي" المناضل المعروف. كان يقطن في جهة باب سويقة، ولا أدري حقيقة إن كان لا يزال على قيد الحياة أم توفي الآن، وقد هانفنا الجريدة إذن ليلاً من المحكمة الشرعية وأعلمناهم بما وقع. ومن الغد ظهرت تغطية الاحتفال بجريدة الأخبار بعكس ما ظهرت به بالصحف الأخرى وبذلك أفسدنا على القائد تدبيره. وإثر هذا الحادث ناداني القائد المحلي للثوار بالجبل واستشارني فيما يجب أن يفعلوه مع "مزالي" بلهجة صارمة، فقلت إنني أرى أن تتجنبوا الحلول القاسية وتعمدوا إلى تهديده وتعنيفه وتركه لأبنائه، فلا فائدة من موته على أيدينا.

الموقف الثالث:

أن القائد المذكور ناداني أيضاً، حيث كانوا دائماً يستشيرونني، وذكر لي أنه بلغهم أن الشيخ "عمالة الطيب صالح"، شيخ مدينة الربع (برقو الآن) وضواحيها عمد إلى حفر قبر بمخزن حيواناته وطلّى غطاءه بفضلات البقر وذلك ليختبئ فيه إذا طلبه الثوار، فقلت له: الشيخ المذكور أحد أعيان المنطقة وفضلائها ونحن نعرف جيداً أنه يتستر على المناضلين بجهته ويوعز بمساعدتهم. وبلهجة التأكيد، قلت له إن ما بلغه لا أساس له من الصحة وعكس ما نعرفه ولا يخلو شريف من حاسد، وطلبت منه أن يزور المخزن المزعوم ويتفحصه جيداً، فإذا وجد به القبر المخفي، فإني أكون شخصياً قد حفرته معه، فالواجب أن نجنب الثورة الاغترار بكلام أصحاب الأحقاد والحاسدين.

الموقف الرابع:

أن القائد الأعلى للثوار برقو "حسن العيادي" المستقر بتونس ومؤسس "صباط الظلام" قد أرسل إلى عونه "الظاهر بوطبة" الذي جاءني إلى مدرسة

"بن عبد الله" في الصباغين وأعلمني بأن الشيخ "حسن" ينظرني ببضحاء بنهج الجزيرة. ولما ذهبت وجدته ومعه مجموعة من حراسه، سلمت عليه فبادرني بسؤال بلهجة صارمة قائلا: ما تقول في "محمد الأخضر بن عطية"، وهو أكبر فلاح في تونس في ذلك الوقت، فأجبته: أتعرف أن بيننا مصاهرة؟ فالأولى أن تسأل غيري.

د. عبد الجليل التميمي:

أهناك مشكلة متعلقة بهذا الرجل؟

السيد عبد الستار الهاني:

لا أبدا، لكن الشيخ حسن يريد أن يستولي على بعض المال، إذا أجابني الشيخ حسن وقال لي: "أجبتني أنت فلي فيك كامل الثقة". فقلت له: "إنه كان عضوا بالمجلس الكبير وقد اشتهر بحبه للعلم وترعه للمعاهد، من ذلك مدرسة "البنت المسلمة" و"الحى الزهوي" و"مدرسة النصر" بـسليانة. بمبالغ هامة لا تقل عن ألفين من الدينار لكل مؤسسة منها، كما اشتهر بحبه للعمل وتغريض التونسيين على الاحتفاظ بأرضهم واستغلالها وعدم التفريط فيها للمعمرين الأجانب والخلود للراحة وشرب الشاي بالخوانيت، حتى أن الشائع أن المعمرين يكرهونه لهذا السبب ولحسن تصرفه في آلاته الفلاحية وتسيير شغلهم مما يثبت قدرة التونسي على إدارة أملاكه حتى بأكثر مما يقوم به المعمر في مزرعته.

وفاجأني "العيادي" إذ طلب مني أن أتصل به وأطلب منه التبرع للثوار بأربعمائة دينار لشراء سيارة مستعملة يتنقل بها أعضاء الحركة. وأنقذتني بديهي، وما أعرفه عن عائلة السيد "محمد الأخضر" وأبنائه من مشاعر وطنية، فالسيد "أهادي" ابنه، صديق المرحوم "الطيب المهيري" يزوره بـسليانة، وكنت قد دعوتهما معا لحضور الجلسة الافتتاحية لتأسيس "جمعية

الضالّب العوفي". كما حضر الأخوان "محمد الهادي بن عطية" و"الحكيم" عبد العزيز بن عطية" مصحوبين بالمرحوم "الطيب المهيري" حفلة زفاني بالقتارة في 01 جانفي 1952، إلى جانب من حضر من المناضلين كالحشيخ الشاذلي النيفر والحبيب الموهبي وإبراهيم عبد الله وأحمد الحيثاني. جرى هذا الحوار في يوم عصيب من شدة البرد والأمطار. واعتمادا على ثقتي بالعائلة، أجبته العيادي على مطلبه وقلت له إن الأول بهذا الموضوع أن يتصل بالسيد "الهادي بن عطية" وهو فلاح مقيم بالربع في أكثر الأوقات ويخاطبه باللين ويطلب منه الاتصال بوالده لإمداد الثورة بما تحتاجه. كما قلت له إنني واثق بأن تحصل الثورة منه على أضعاف ما تطلبه، واقتنع "العيادي" بهذه النصيحة فاتصل به وصار صديقا للسيد "الهادي بن عطية" ولربما كان قد اتصل به من قبل وأراد أن يضرب عصفرورين بحجر واحد، وذلك لاستخدامي للحصول على عطاء أكبر. وقد نظمت في الحادثة الأخيرة الجزء الأخير من القصيدة حول ملحمة الثورة ببجنتا، والذي لم أشره معها بحريّة الشروق في حينه رافة بأبناء العيادي الذين كانوا ينتظرون منه تاريخا حافلا بشرف النضال، فكان العكس، ورغم شعوري بالألم من الابتزاز الذي ظهر من العيادي، واصلت التعامل معه حرصا على تواصل الثورة ومصلحتنا. لقد قلت وقتها ما دام قائدا للثوار وهو يقوم بواجب وطني علينا أن نتجاهل مثل هذه التصرفات حفاظا على المقاومة والثورة. وهذه القصيدة ذكرت فيها هذه الحادثة في جزءها الأول وذكرت ما وقع لي من أحداث فيما بعد في جزئها الثاني وأقول في هذه القصيدة التي تحمل عنوان "وجل القائدين":

وجل القائدين كسوا نساء	وبات البعض يكفر بالنقاء
دعا حسن (اللواء) إلى لقاء	بنهج جزيرة وسط الفناء
وجدت جماعة ليسوا جبابا	وكل سلاحهم تحت الحفاء

رمى حسن مساء لتي سريعا	ويغمر صوته بح الشقاء
أليس عطية رجلا غنيا	فيلزم أن ننال من الثراء
وأحسبت المطامع طوقستني	ولم يك منجدي إلا ذكائي
فقللت له أيا حسنا تريث	فإن العرب ترغب في الثناء
فذلك ابنه فاذهب إليه	ودعك من الصرامة والجفاء
فقد نعطي الجزيل بلا جدال	وتشعر أنه خير العطاء
ولو وقف المصاب بحد هذا	لكان الخطب يقبل العزاء
تتابع نهبه مع غيرا هذا	وليته كف عن شر داء
ولو لا إخوة ومساومات	لكنت اليوم أدفن في الخلاء
لقد عشق الإنالة من رؤوس	رفاق ليس تسجد للسواء
فنكل بالرفاق بغير ذنب	سوى طمع يزهد في الإخاء
وعجب مناضل لم يعط روحا	من الإخلاص أو حسن البلاء
فنال عواقبا لم ينج منها	لكثرة ما تغفل من براء
رأيت عجائبا في سجنى هذا	تؤكد قهر مرهوب العداء
لعمرك سنة الله حتما	ليجزى قارفا شر اجتراء
ويهلك من غدا الله خصما	فأقسم ثم مر بلا وفاء

يمكن القول بأن ما أشهد به الآن يتعلق بالمرحلة الثانية من علاقتي بحسن العبادي، سواء ما حصل لي عند اعتقالي في "صباط الظلام" أو في "بئر الطراز" أو في منوبة عند "علي بن سالم" ثم إطلاق سراحه. أقول إنه لما سلم الثوار أسلحتهم بموجب الاتفاق بين الحكومتين الفرنسية والتونسية على ملف المقاومين المبرم في 20 نوفمبر 1954 والذي تعهد فيه بورقيبة بسحب المقاومة، ظننت أن موضوع الثورة انتهى، ولكن بلغني أن حسن العبادي

يرغب في مقابلي. وفي وقت قريب من سماعي بذلك حلت سيارته وبها السائق ومرافق في الأمام، وشخصان يجلسان في المقعدين الخلفيين وجلست أنا في الوسط وركب الثالث على ركبتي وكأني سأحاول الهروب من هذه المجموعة المسلحة، وحمّلني المجموعة إلى "صباط الظلام"، وهناك أنزلت وأدخلت إلى القسم الخلفي من المخزن في حالة شديدة من الروع والانفعال. جلست على مقعد خشبي وتركت كذلك، غير أن الذي راعني هو بعض أصوات وأنين من كانوا يتعرضون للتعذيب حينها هناك، وانتبهت إلى أن أحدهم كان يضرب ويصيح وتأكدت أنه "محمد الزراع" وانقضى الليل كذلك.

ومن الغد، دعاني حسن العيادي إلى مكتبه الموجود على يسار الداخل بالهمل المذكور، سألتني أسئلة لا معنى لها ولا أعرف جوابها حول صليتي ببعض من حلّ بسلاية من المقاومين، وهو سؤال تمويه لا علاقة لي به، ثم قال لي "إنّ عجلت بالقبض عليك أخوفا من أنّ يقبض عليك غيري ممن لا يعرف تضحياتك"، فاطمأنت نفسي بعض الاطمئنان وأرجعت إلى مقعدي دون أن أتعرض إلى الضرب أو غيره من الإهانات. في اليوم الثاني، كنت جالسا على المقعد الخشبي وقد غشيني بعض النعاس مع غروب الشمس، فأنا لم يغمض لي جفن منذ أن قبضوا عليّ، انتبهت إلى وجود شخص أعرفه وهو "سعيد ديبش"، وحصلت معرفتي به عندما كان يدرس بفرنسا، ولما رجع وقعت تسميته خليفة بمركز الربع أي بمنطقتي، وبما أنني من المنطقة شاهدته هناك دون أن يجمعني به حديث. وفي اللحظة التي أفقت فيها، أتى له بقهوة سوداء ثم غشيته النعاس مرة أخرى، ولما أفقت لم أجدّه، ومن ذلك الحين لم يظهر له أثر حتى أن أقاربه ظلوا يبحثون عنه ويتوسطون للحصول على جثته دون جدوى، ولقد اتصلوا حتى بالمستولين

الكبار، فسعيد ديش كان متزوجا من عائلة "بن رمضان" في المهدية وابنه الآن طبيب أسنان معروف.

وفي اليوم الثالث دعيت أنا ومحمد الزراع ومحسن ديش المقبوض عليه، وهو من أقارب سعيد ديش، للاستعداد للمغادرة، فلبست أنا ومحسن ديش برنوسينا ثم وقعت تغطية وجوهنا. ولما سلكنا طريق كلية الآداب، كنت أستغفر وأودع الدنيا معتقدا أننا سنحمل إلى منطقة "جوقار" الغاية بالفحص أو برفو، حيث سيتم التخلص منا. وتواصل السير، وكانت أصوات العمران تتناهى إلى سمعنا مرات وتبعد أخرى. وأخيرا تم إنزالنا في محل، ولا أزال أذكر أني كنت أنتظر انطلاق الرصاصة في أي لحظة حتى داخل هذا المحل، فأنا كنت أجهل خططهم وكل ما أعرفه أنهم رجال مسلحون ولهم نوازع إجرامية، ثم أزالوا الغطاء عن أعيننا، فإذا بالمحل يتكون من غرفتين ويقع مقابل "بئر الطراز" برادس. أدخلونا إلى غرفة لا أثناء فيها ولا فراش، ووجدنا الجارسل المسموم "أحمد بن نصير التليسي"، ثم أمرونا بالجلوس على البلاط المتكون من الجليز، وكان حسن العيادي يحل بالغرفة المقابلة من حين إلى آخر، ويحقق مع من يتم القبض عليهم، وأحيانا نسمع بعض الصراخ، وظني أنه ناشئ من الجلد والضرب، يمارسه السائق الذي رافقه على الموقوفين، السائق يصبح جلادا في ذلك المكان هكذا كنت أظن. وذات يوم تعرفت على أحد المقبوض عليهم وهو من أجواري بسليانة وقد رأيته عندما أدخلوه، وأعرف أن لا علاقة له بالنشاط السياسي فهو فلاح، ولما سمعت صراخا ظننت أن مصدره جاري الذي تم إدخاله إلى غرفة التحقيق مع حسن العيادي، فانزعجت كثيرا خوفا من أن يضغطوا عليه للحصول على ما يريدون، ولكن لما انتقل بجاني عرفت أن الصياح لم يصدر منه، وإنما لما أحس بالخطف أخذ مبلغا قدره خمسة وتسعون دينارا تسلمها

العبادي كاملة عند دخوله معه، وأعلمني أن سبب القبض عليه أنه تنازع على قطعة أرض مع من كانوا على اتصال بالعبادي، الذي تدخل في هذا الأمر حتى يتحصل على بعض الأموال، فأرادوا التنكيل به بالوشاية، ويعلم الله ماذا دفع لإطلاق سراحه بالإضافة إلى خمسة وتسعين دينار التي دفعها في البداية.

أما التليسي كانت معاملته معنا مقبولة، غير أنه في بعض الأيام تمأون.. إذ لما كنا متكئين على بعضنا البعض نحن الثلاثة، أحس محسن ديشش بالتعب لأنه كان متكئا مباشرة على الحائط، فجلس ثم جلست أنا وكذلك فعل الحفناوي، وكان التليسي حينها يعالج رشاشه المحشو رصاصا، وبمجرد جلوسنا انطلقت من الرشاش رصاصات لتستقر حيث كانت رؤوسنا متكئة، ولو لا لطف الله لسقطنا قتلى في الحين، وغير هذه العملية كانت مواقفنا معنا عادية.

في اليوم الحادي عشر دُعيت للركوب منفردا في السيارة، وانطلقت بي نحو تونس من رادس، غمرني شعور بالرعب مجددا لظني أن موعد التصفية قد حل، ولم أطمئن قليلا ألا بعد أن تجاوزت السيارة تونس في اتجاه باردو.

تواصل السير بي في اتجاه "منوبة" ثم أدخلت محلا وجدت فيه صاحبه وهو علي بن سالم المشهور بكنية "علي البوليس" الذي يعرفه بعض أقاربي، حيث درسوا حفظ القرآن ببلدته بالكنائس قرب سوسة، ومن عجائب الصدف أنه يمتلك صوتا جميلا في الترتيل وتلاوة القرآن. وهناك وجدت صهري الشيخ عبد الستار بن عبد الملك، الذي دفع في الماضي الملايين للحزب، والآن يعتقل ويعذب بهذه الطريقة، وعندما علم بن سالم بخبر اعتقاله وهو على علم بقيمة هذا الرجل، اقترح على العبادي نقله إلى

محلّه بمحبوبة حتى يتشاركنا في ابتزازه. وعند اجتماعنا بحضور العيادي أخذنا تلالوم، واحتج وأتينا لم نعه على مصاريفه بصباط الظلام، فأجبنا بأن طريقتة في الاعتقال والترهيب كانت السبب، وفي اليوم الثالث، أتى أحي بمائة ديناراً ودفع الشيخ عبد الستار مائة وخمسين ديناراً وتعهده بالمزيد، وفعلاً صاروا يتصلون به بسليانة ويتسلمون الأموال والحبوب وأطلق سراحنا.

هكذا كانت علاقتي بحسن العيادي، وهذا ما أعرفه عنه، ومع أنه طمأنني عند اعتقالي بصباط الظلام، قال لي مرة أنه وقع التغيرير بأحد أعوانه ليقتلني بجامع باب الجزيرة وأعطاني أمانة صحيحة، حيث قال إنه بحث عني هناك ثلاثة أيام ولم يجدني، وفي الحقيقة أن الجامع حينها كان مغلقاً لتبييضه. وقد عرض علي عدة مرات الحديث عن علاقتي بحسن العيادي لكنني رفضت لأن اعتبر أن ذلك أصبح طلي التاريخ، لكنني الآن أدلي بشهادتي على العصر تبيننا لحقائق شاهدتها بأب عيني ونقلها بأمانة ولا أسمح لنفسي بالزيادة في تغريق الغارق.

د. عبد الجليل التميمي:

ألا تمتلك معلومات أخرى عن صباط الظلام؟

السيد عبد الستار الهادي:

لقد حدثتكم عن الأمور التي عشتها.

د. عبد الجليل التميمي:

شكراً لك إذن سيد عبد الستار.



سيدي حمادة:

القرية الأصلية

(2)

بقلم: عبد القادر الهادي

مصادر الرزق في القرية:

ظل الارتزاق في القرية محصورا في النشاط الفلاحي وذلك لفترة من الزمن، وشيئا فشيئا ظهرت مصادر أخرى تباعا: تحفيظ القرآن في القرية وخارجها في البيوتات المنتشرة في المنطقة والمناطق المجاورة. وصاحب هذه الحظّة يسمّى: المادّب وهو الذي حفظ القرآن عن ظهر قلب بعد قيامه بأربع أفلام (1).

ثمّ ظهرت حظّة الإشهاد التي تولّاها العديد من أهالي القرية كانوا التحقوا بجامعة الزيتونة وحصلوا على شهادة التطويع. كذلك ظهرت مهنة التجارة بفرعها التجارة الثابتة والتجارة المتحولة في الأسواق.

النشاط الفلاحي:

يعتبر النشاط الفلاحي التقليدي الركيزة الأساسية التي تعاطاها سكان القرية ومنها يعيشون، وتشمل بالخصوص فلاحية الزيتون وتربية الماشية أولا ثم زراعة الحبوب ثانيا ثم التعاطي مع الفلاحة السقوية ثالثا.

فلاحة الزيتون:

لقد انصبّ الاهتمام بشجرة الزيتون: عناية واستفادة منذ البداية، وساعد على ذلك انتشار شجرة الزيتون الجاهلي المعروف باسم الزبوز فأقبل الأهالي

على تلقيمه وتحويله إلى زيتون حرّ، الشيء الذي مكّن من أن تكون للقرية غابة من الزياتين أحاطت بالقرية من جهاتها الشرقية والشمالية والغربية وتبعاً لذلك نشأة عديد المعاصر في عديد الأماكن.

معاصر الزيتون:

كبار السن يذكرون أن أقدم معصرة زيتون في القرية يعرفونها تمام المعرفة هي معصرة السبعة (1) تقع في المكان المعروف اليوم باسم دمنة السبعة، وهي البقعة التي تقع شرقي القرية وتشققها الطريق المؤدية إلى المقررة، هذه المعصرة اندثرت الآن تماماً وما يبق لها من أثر.

نشأت معصرة ثانية واستمرت تشغل إلى نهاية ستينيات القرن الماضي وتقع في الجانب الشرقي من القرية قرب كاف جنان علي الزريبي الذي يعرف حالياً باسم كاف مامية (2) وهي على ملك المدعو أحمد بن الجيلاني الحمادي.

في القنارة:

1- معصرة "خروبة المعصار" وتقع غربي واد الخروب وموقعها بالتدقيق هو الخروبة التي تجددت عن الخروبة الأصل في ساحة مدرسة القنارة. بقيت آثار هذه المعصرة إلى نهاية أربعينيات القرن الماضي.

2- نشأت بعد ذلك معصرة: أحمد بن الصالحة قبالة مسكنه، بقيت تشغل إلى أواخر خمسينيات القرن الماضي.

في وادي السنوسي:

نشأت معصرة واحدة هي معصرة عبدة بن الهاني وتواصل اشتغالها إلى نهاية سبعينيات القرن الماضي.

مكونات المعصرة:

تتكون معصرة الزيتون من:

رصيف في شكل هرمي من أحجار كبيرة يرصف بعضها فوق بعض

لتكون شبه مثلث. في وسطها من أسفل فراغ (طاقة) مقاسها 60سم"60سم"60سم تقريبا. وعلى بعد متر واحد من الطاقة موضع دائري توضع عليه الشوامي مملوءة (بعجين الزيتون) وعند العصر يتزل الزيت مخلوطا بالمرجين يأخذ طريقه في ساقية إلى (القرنة) وهي حفرة عمقها متر أو بعض متر، تسع مقدار 70 لترا، وفيها يصفى الزيت من المرجين.

بالقرب من الرصيف تقع **القرقيبية** وهي مصطبة من الحجارة شكلها دائري وعلوها نحو المتر وقطرها نحو ثلاث أمتار تقريبا وفي الوسط قضيب من الحديد في ارتفاع حوالي 60 صم، سطح المصطبة مسوى من الحجارة المسطحة على غاية من الاستواء، تدور عليها اسطوانة من الحجر مشدودة من طرفها الداخلي إلى المسمار، طولها حوالي متر أو ينقص قليلا محيطها حوالي 70 صم في طرفيها **نحويفين** منهما تشد شداً يسمح لها بالدوران بسلاسة كاملة تتيح تقطيع حب الزيتون، ويتوالي الدوران يصبح الحب عجينا، عندها ينقل إلى **القاسر** وهو حفرة مربعة الشكل عمقها متر واحد وضلعها حوالي 70 صم، يصب فيها عجين الزيتون ثم يشمر العفاس عن ساقيه إلى ما فوق الركبة، ويشرع في عملية تخليط العجين بحركة دائبة لا تخلو من رشاقة وفي تناغم مع ترديد أذكار من نوع: الله، الله، الله...

إن عملية الخلط هذه وما يصحبها من إضافة شيء من الماء الساخن ضرورية لكي يدرّ العجين كل ما فيه من زيت.

المرحلة الأخيرة في عملية العصر تتم بوضع العجين في الشوامي (مفرده شامية) وعددها بين 5 و7 يوضع بعضها فوق بعض في الدائرة المعدة لذلك وعليها حجرة في شكل الشامية، وفوقها المعصار وهو جذع شجرة في نهايته **فركتان** فيها تثبت الكروود(2) الكرود، حجرة كبيرة تزن من 100 إلى 200 كغ.

الثروة الحيوانية:

يربي أهل القرية: الماعز، البقر (لتنمية الرزق) والدواب (وسائل عمل) والدجاج للأكل ولإنتاج البيض ويسمى: العظام.

كذلك ينتفع أهل القرية كثيرا من حيوانات الغابة وطيورها (الأرنب البري وتسمى الأرنب الجالية و القنفذ، الحجل والحمام).

الماعز:

بلغت تربية الماعز عنقوتها خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث أصبح لكل عائلة: "شردوب" قطع من الماعز يتألف من مونة فأكثر، والمونة تتكون من 8 معزات وعتروس.

ويستخدم شعر الماعز في نسيج تصنع منه العديلة وتقتل منه شرطان وحيال وطعمة يصنع منها ومن الجلد: القرق كما يستخدم جلدها من تحضير "المزود" بعد ديبغه وانتف شعره.

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

البقر:

تربية البقر تأتي في المقام الثاني بعد تربية الماعز والقطيع يتكون من 40 إلى 60 رأسا بين بقرات وغرا ميل وأراخ وفراتيل يرعاها راع واحد يسمى:

السارح

البقرة: أنثى البقر

الأرعة: أنثى البقر عمرها من عام إلى عامين

العجلة: أنثى البقر بلا دون العام

العجل: ذكر البقر عمره دون العام.

الغرمول: ذكر البقر الذي تجاوز العامين

الثور: ذكر البقر في ما بعد خمس سنين بعد خضيه ويقرن الثوران إلى بعضها للحرث ويطلق عليهما "زوز حرث"

زراعة الحبوب:

زاول أهالي قرية سيدي حمادة فلاحه الحبوب: القمح والشعير أساسا وتوسعوا فيها مع توسعهم في تنقية المنشير من الشجر أغالي البسيط من ذروك وكليل ومروية وملية فأصبحت لهم في هذا الميدان مواسم ذات عادات وتقاليد.

هناك موسم الحرث، وموسم البذر، وموسم التنقية، وموسم الحصاد والدرس.

ولكل موسم: أعماله وأدواته وأهازيجه.

فموسم الحرث في الحريف ووسيلته: ثوران أو فرس أو بغل. وأداته المحراث.

وموسم البذر في فصل الشتاء وأدواته: البذور والمحراث والدابة. وموسم التنقية في فصل الربيع (تنحية الأعشاب الطفيلية) وأدواته قادمة وملمة ودابة لنقل ما يجمع من عشبيل علقا للذواب.

وموسم الحصاد والدرس: في فصل الصيف: فصل استقبال الصابة، وهو ميدان شاسع واسع فيه العمل الشاق تحت حرّ الشمس، لكن يهون أمره الرجاء في جمع صابة تزيد في الرزق فتعم البشرية كل أفراد العائلة. والحصاد عمل شاق يستعان عليه بالغناء والذكر وتغطية الرأس بلحفة تكوّر على الرأس فتد عنه حرّ الشمس ووجهها أو بوضع مضلة فوق الرأس.

أدوات الحصاد: منجل وملمة أو جياية وحبل ودابة لنقل المحصول إلى (المنذرة) البيدر وهي فضاء في شكل دائرة قطرها حوالي 5 أمتار محيط بها نوادر القمح والشعير والقعاميز وهي الصغيرة في الحجم. وتبنى النوادر بكيفية تعطيها رونقا ومحة. والفلاح كان وما يزال يسعده أن يرى أرضه

قد حرثت بإتقان ويفرحه أن يرى الزرع ينمو وينمو ويهجه أن تبدو السنابل وهي مكتثرة بحبوبها الذهبية ويسليه أن يرى النادر منتصبا يناطح السحاب وأخيرا يهنا باله بكوم التبن وقد طال وعلا، فهو قوت ذوابه وحيواناته التي هي مصدر رزقه وأداة تحصيله.

يستعين صاحب الزرع في حصاده بالهطاية الذين ينالون أجرهم في نهاية كل حصة عددا من الحلل يتناسب مع ما قد حصد لأن كل هطاي يكسب محصوله في سطر خاص به. وكل حلة تتكوّن من أغمار، والغمر كمية من السنابل ثلثا كفي اليدين مجتمعين، وتربط بعض قصبات السنابل بعضها إلى بعض.

خرجة باركلو:

تختتم فترة الحصاد بتنظيم "معونة" حيث يجتمع عدد من الحصادين الأجوار بكل فرح، يتم بها الفلاح موسم حصاده.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الدراس:

تحضر القاعة (الفضاء الدائري الذي تحيط به نوادر وقعاميز القمح والشعير) بتنظيفها وتلييد تربتها بالماء عدّة مرّات، وقد تجلب تربة بيضاء تذرّ على الأرضية بالماء فتلبّد، وفي أيام الدّراس يؤخذ كل يوم شيئا من النادر فيطرّح في القاعة التي مرّ ذكرها ثم يوتى بمجموعة من الدواب مصطفة بعضها إلى جنب بعض وتسمّى "الدارس بالدور". (باجاروشة)

في نقطة الوسط يقف "الدارس" بجانب الدابة الأصغر حجما ويأخذ في تدوير المجموعة دورانا بطيئا وتدوم هذه العملية قرابة الساعتين حيث تنفكك السنابل ويتناثر حبها فيقال "الطرحة طابت". تسرح الدواب ويتوجه بها أحدهم لسقيها.

في هذا الوقت تلمّ الطرحة في كومة صغيرة استعدادا لعملية التذرية عند بدء

هيبوب نسائم أوائل العشيّة.

أشهر المنادر:

- مندرّة "البركة": وتقع شمال القرية قرب وادي المرجة.
- مندرّة أولاد إبراهيم: وتقع قبلة قنارة الرغادية.
- مندرّة الشتايوية: وتقع غربي قنارة الشتايوية.
- مندرّة البخاخريّة: تقع ظهري وادي السنوسي.

التذرية:

تبدأ التذرية باستعمال المذرة وهي حديدة ذات أربعة أصابع مشدودة إلى عصا خشبية (تشبه البالّة) تتواصل التذرية باستعمال آلة "اللوح" وهي تشبه البالّة غير أن قطعة من اللوح تغوص قطعة الحديد في البالّة.

وتنتهي هذه العملية بظهور كدس من الحبوب الصافية كبير، وكدس صغير من "الكرفّة" التي هي بقايا من الشنابل لم "تتحتت" حباتها، وعندما تتجمع كمية من الكرفّة يعاد درسها ومعالجتها كما سبق بيانه وتسمى "الغيزة" ولم تتأثر من الحر الحبوب هنا وهناك يكون بواسطة "فراحة" من نبتة تسمى: صالح لنظار.

تكوين التبن:

آخر مرحلة في عملية "الدراس" هي تكوين التبن في أكوام حفظا لهذه المادة الأساسية في تغذية الماشية والدواب خلال فصلي الخريف والشتاء.

الفلاحة السقوية:

يتم تعاطي الفلاحة السقوية على ضفتي وادي السنوسي وهي شتوية وتشمل: اللفت والعلّة (السفنارية) وصيفية وتشمل: الفلفل والطماطم والبصل والقرع.

يستهلك أهل القرية حضروات برية (خرشف، حميضة، سلق عربي...) وأهم الغلال المتداولة بالقرية: وفي وادي السنوسي: التين بأنواعه: الزبدي والسفري والخذري والحمرى ثم الخوخ. شجر الخروب: في فترة متأخرة من حياة القرية وقع الاهتمام بفلاحة هذه الشجرة لتلقيحها فتصبح: خروبة حرة بعد أن كانت خروبة جالية. والخروب الجالي يصلح علفا للدواب أما الخروب الحرّ فيؤكل كفاكهة ويستعمل في تحضير البسيسة خاصة.

تحفيظ القرآن:

اشتغل الكثير من أهالي القرية في تحفيظ القرآن في كتابات القرية (جامع بسيدي حمادة و"كتاب" واحد في القنارة) وفي محال خاصة في المنازل المنتشرة في الأفاق القريبة والبعيدة كالربع وسليانة والوسلاتية. **عَدُولُ الْإِشْهَادِ:** تولى العديد من أهالي القرية بحظّة "عَدُولُ الْإِشْهَادِ" وزاولوها في عديد المدن المناحمة للقرية في الربع (برقو حاليا) وسليانة والوسلاتية.

التجارة:

امتهن الكثير من أهالي القرية مهنة التجارة القارة المتحولة. التجارة القارة: وهي التي زاولها أصحابها في حوانيت (محال) أعدت للغرض وهي عادة اثنان في القرية الأم واحدة في "القنارة" وواحدة في وادي السنوسي. أما السلع فهي: السكر والشاي والحلوى وأنواع من التوابل والكُثْرُكُ⁽¹⁾ والمقاويس والسواك واللوبان والقماش وأغطية الرأس (شاشية وعراقية للرجال وتقريطة ومحرمة للمرأة واللبنت.

التجارة المتحولة:

مارسها أصحابها على ظهور الدواب يتنقلون بها من دار إلى دار في الريف ويعرضونها في قواطن (ج قيطون) في الأسواق الأسبوعية في بوقو وبوعرادة وقففور والوسلاتية.

التسوق:

التسوق الذي مارسه أهل القرية قريب وبعيد. قريب مسافة ويباشره الجميع الكهول وهو في الأغلب إلى سليانة وإلى الربع وإلى الوسلاتية وقد يكون إلى بوعرادة أو الفحص. وأساس التسوق إلى هذه الأسواق تبادل السلع بيعا وشراء وفي بعض الأحيان مقايضة (1).

أما التسوق البعيد وهو الذي يكون في الأغلب إلى حاضرة تونس ويباشره أفراد قلائل بمعدل مرة أو مرتين في السنة وهو مناسبة لاقتناء حاجيات الأفراح (كسوة العروسة، حللها، أقمشة، وغير ذلك).

أما وسيلة السفر قبل منتصف القرن الماضي فهي الدواب من صنف البغال وقد يجتمع أكثر من مسافر وتكون وسيلتهم هي الكريطة.

والتنقل بين الأماكن القريبة للتسوق أو للزيارة بينهم بصفة عامة عن طريق الدواب: الأحمرة والبغال والخيول. على أن الأعيان - مشايخ التراب وعدول - الإشهاد فإن تنقلهم يتم عبر ركوب "البغلة" وعليها "الركابية" وفوقها الخرج وعليه زريبة ومقودها اللدحام.

(1) سلعة بسلعة

البغال: وعلى ظهورها البردعة ومقودها الصريمعة ~~البردعة~~ والأحمرعة وعلى ظهورها البردعة والمقود هو الشكيمة.

ركوب الدواب يتطلب:

-الركابية أو البردعة

-اللحام: أو الصريمعة، أو الشكيمة.

-الخروج: أو الزنبيل.

اللباس

اللباس الذي نتحدث عنه هو اللباس الذي كان ساد القرية منذ أن تأسست في القرن السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين ويتميز بخصوصية كونه من الصوف عامة ~~واللباس السائد~~ للرجال ثم الأولاد النساء والبنات.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

-لباس المرأة :

سورية من القماش.

حصارة من القماش.

تقريطة من القماش.

حولي من الصوف بالحرير.

حولي من الصوف.

وزرة من الصوف.

شان من الصوف.

مداس بلغة من الجلد.

-لباس البنت:

سورية من قماش الكتان، بخنوق من صوف، محرمة لتغطية الرأس من قماش الكتان.

-لباس الولد:

سورية من قماش الكتان، جبة من صوف، بنونوص من صوف.

-لباس الرجال:

سورية من قماش الكتان.

حرام من الصوف.

جبة من الصوف.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

برنوص من الصوف.

قشايية من الصوف

سدريية من الصوف.

كبوس من الصوف.

لحفة من الكتان أو من الحرير.

مداس من الجلد، بلغة من الجلد، قرق: أسفله من الجلد وأعله خيوط من الصوف كثيرة من الجلد.

الصوف: يمثل الصوف في القرية مادة أساسية في حياة الأهالي، يأخذ من أنشطتهم حيزاً زمنياً ومكانياً هاماً، لذا ينبغي النظر إليه: من حيث مصدره

ومراحل الاشتغال عليه. علما وأن تربية الأغنام تكاد تكون معدومة في القرية إذ أن أرضها أرض جبلية غابية تصلح فقط لتربية الماعز أساسا والبقر بدرجة ثانية.

تقتني كل العائلات تقريبا عددا من زواجر الصوف إثر موسم ززان النعاج في بداية شهر ماي من كل عام، وتشرع في الاشتغال بها: من تنقية وغسل وتقريش وغزل ونسج ولكل هذه الأشغال أدوات وعادات. التنقية:

الصوف بعد الززان يسمى صوف مودّج وعادة ما تكون أطرافه المقابلة لموقع الزّرّ ملبّدة فيقع قص الجزء المتلبّد بالمقص ويسمى الكعثال. الغسل:

يتم غسل الصوف بالماء الساخن في بقاع هيت هذا الغرض: تقع على مجرى وادي السنوسي وهي من شرقه الى غربه، مغسل البخاخرة، مغسل التلة، مغسل وادي السنوسي، مغسل القتالة ويقع على وادي المرجة، مغسل زروق. أدوات الغسل: حجرة مسطحة مصبّطة من الخشب.

مشط الصوف:

وله من الأدوات: مشط وحجرة توضع تحته قريبا من موقع أسنانه (مسامير طويلة بعض الشيء من حديد مثبتة في أعلاه) وحجرة توضع على طرفه الأسفل، تنتهي عملية المشط بتهيئة الصوف وتجهيزه للغزل فيستحضر منه (1) القيام (2) الطعمة وهما المادتان الأساسيتان في عملية النسج.

غزل الصوف:

يشمل عملية استحضار القيام وهو الخيوط الرقيقة العمودية في المنسج وأداته: عود قصير يلف عليه البوص.

استحضار الطعمة: وهي الخيوط الخشنة اللينة الأفقية تتخلل خيوط القيام العمودية.

والأداة هنا: مغزل يوضع في المهراس وتدوره اليد اليسرى وتمسك الخيط أصابع اليد اليمنى ساعية إلى تمديده بكثير من الحذر والليونة.

التقوديش: يتم بواسطة "القرداش" الذي يعمل على جعله منفوشا أي مطاوعا لغزله: قيام أو طعمة

المنسج: هو الآلة التي يتم بها نسج الصوف وإخراجه في هيئة قطعة من قماش من الصوف ويسمى المنسج "سداية" وتكون من قطعتين من اللوح طول الواحدة حوالي مترين ونصف المتر تنتهي أطرافها بفتحة ومن قائمتين تقوم على جانبي السداية بصفة عمودية وتشدان في الأعلى بحبل إلى السقف ومن قصبة ومن منبر.

أدوات النسج: رطاب يدق به النسج أولا وخلالة يدق بها المنسوج كلما ارتفع بعض الشيء.

عادة تقوم بالنسج امرأتان صاحبة المنسج وأخرى على وجه الإعانة أو الإعارة أو الكراء.

المنسوج: حبة، برنوس، قشائية، صدرية، وزرة، حولي، عبانة، كليم، كما يصنع من الصوف شاذ ج شياذ. وضع على الرأس ويتدلى على الكتفين (للمرأة).

خياطة أثواب الصوف:

خياطة الجبة والبرنوس والقشائية والصدرية يقوم بها الخياط أو الصدار، والصدارة تكون بحريز الدودة أو بحريز اللوح (حريز اصطناعي). وكما أن كل أشغال الصوف تقوم بها المرأة فإن أعمال الخياطة والصدارة يقوم بها الرجال.



الجبة مخيطة بالخيط أو مصدرة بالحريز

ARCHIVE

البرنوس مخيط بالخيط أو مصدرة بالحريز

القشائية مخيطة أو مصدرة أو مضبوغة أو غير مضبوغة.

الطعام ومصادر ماء الشراب:

المادة الأساسية للطعام بالقرية هي حبوب القمح أولا وحبوب الشعير نادرا. تجرى على الحبوب أعمال عديدة قبل أن تصبح طعاما جاهزا للتناول من تنقية الحبوب، تجلويع الحبوب، رحيتها، غربلتها: فيكون منه السميد والحمرية والنخالة. فمن السميد يصنع الخبز والكسكسي والمحمصة والبركوش والعصيدة واللكلوكة والحسا والمثلوث والملاوي والمقروض والغرية. ومن الحمرية: يكون الخبز والكسكسي والدشيثة. أما النخالة فهي طعام لبعض الحيوانات الأليفة.

الخبز: خبز مفوح، خبز مبسس بحسب إنضاجه. القوجة أو في الغنّاي
خبز طابونة، خبز غنّاي: خبز مطاليع باستعمال الحميرة^١ خبز مخلوطة (من غير
خميرة).

الرقيقة: بالحليب والسكر وتصنع من الخبز المخلوط.

بالزيت والسكر وتصنع من الخبز المبسس.

العصيدة: عصيدة بالزبدة، عصيدة بالزيت وعصيدة بالطماطم.

الكسكسي: كسكسي بالخرشف، كسكسي باللحم أو بالقديد وكسكسي

بالخضرة: اللقت، بالجمة وهي أوراق اللقت، كسكسي بالرغيدة، كسكسي

بالغلة (السفنارية)، كسكسي بالرايب، كسكسي باللبن، كسكسي ملثوث:

من دقيق الشعير، المحمصة.

النفقة: طعام المناسبات: كسكسي باللحم، محمصة بالحليب والسكر، محمصة

بالتمر، رقيقة، لكلوكة، عصيدة بالطماطم وعصيدة بالزبدة والسكر.

حلويات العيد: مقروض وغريبة

ماعون الطبخ: برمة وكسكاس، طنجرة، طاجين، مغرف وكتانون

ماعون الأكل: قصعة وشقالة وتيسي وغنّجاية

طعام الغداء: ويسمى الفطور: خبز شايع وخبز بالزيتون، خبز بالحليب،

خبز بالرايب وخبز باللبن وخبز بالشكشوكة: شكشوكة فلفل وطماطم

وبصل وشكشوكة بصل وشكشوكة فول أخضر وشكشوكة حموضة.

العشاء: كسكسي محمصة وبركوكش.

وسائل الطبخ: حطب من الذرو أو الكشريد أو الزيتون، فحم.

قجقاش: بقايا الحطب.

مشروب السهرة: التاي الأحمر، التاي الأخضر، تاي الجبل (أحمر وأخضر) وتاي النعناع.

أدوات جلب الماء وحفظه: القرية، الشلبوط، الشنة، الدلو.

أدوات حفظ الماء: يحفظ في الأدوات الثلاثة المذكورة آنفا كما يكون في القلة وآنية الشرب: الحلاب.

مصادر ماء الشرب:

في سيدي حمادة:

1- عين الجدة. 2- العين الفوقانية. 3- عين الكاف الأخضر.

إضافة إلى عينين إثنين تنبعان في فصل الشتاء فصل الربيع. وهي:

- عين ^{الوادي} غربي القرية على بعد نحو كيلومتر واحد.

- عين بوضنوبراية، شرقي القرية على بعد نحو 800 متر.

الفتارة:

1- عين عوينات الكحل.

في وادي السنوسي:

• فوار السنوسي، عين وادي المرجة، عين الجدرية، عين القتالة.

من وجوه إعجاز القرآن الكريم

بقلم: أ.د صالح داسي

تقديم

إن القرآن هو المعجزة الخالدة التي خصّ بها الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فكان (معجزة عقلية علمية بيانية يدرك المرء بمقدار إمعانه في العقل والفهم، وبمقدار ما يقف عليه من قوانين الكون وسنن الطبيعة) (1)، وهذه المعجزة المستمرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.²

لم تنته مثل معجزات الرسل السابقين له، بل هي باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي بقائها واستمرارها استمرارية لخطاب الله لعباده مهما اختلفت به الأماكن والعصور، والأجيال وفي ذلك يكمن الإعجاز والتحدّي الذي أفحم الناس جميعا في الإحاطة به، والإتيان بمثله، وهذا يفيدنا أن أي مفسر للقرآن لا يستطيع أن يقول أن هذا هو المراد الإلهي دون غيره، "فمن الراجح أن جيلا من الأجيال، أو عصرا من العصور قد لا يستقل بتقديم نظرية أو رأي يفسر به إعجاز القرآن من كل وجه" (2). ومن يتصفح القرآن ويتعمق في سوره وآياته يجده قد حوى كل علم وكل لون من

(1) الدكتور عدنان محمد زرزور: "علوم القرآن" ج2، ص218

(2) المرجع السابق: ج2، ص219

ألوان الحياة الظاهر والخفي، المشاهد والغائب فكانت آياته كأنها نزلت الآن، إلا أنها لم تكن حكراً علينا، وعلى عهدنا بل هي تشمل جميع الأجناس والأجيال، متعايشة مع كل العصور عامة في دلالتها الإنس والجن، الإنسان والحيوان، والنبات والجماد، ممتدة إلى ما قبل وجودنا وإلى ما بعده، شاملة للحياتين الدنيا والآخرة فكان بحق معجزة الله الخالدة.

1- التحدي والمعارضة

هناك فرق بين التحدي والمعارضة. فالتحدي من تحدى يتحدى، فاق وتجاوز. أما المعارضة فهي الإتيان بما يشبه ذلك. يقال "عارض الشيء بالشيء معارضة: قابله، وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته، وفي الحديث (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارض جنازة أبي طالب) أي أتاهم معترضاً من بعض الطريق ولم يتبعها من منزله" (3).

تحدى القرآن الكريم كل منكر ومعاند أو مقلد في مواطن خمسة وهذا التحدي كان متبعا لمسلك التدرج. تحذاهم أولاً في الإتيان بمثله قال تعالى: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " سورة الإسراء: 89 .

(3) ابن منظور: "لسان العرب" م7، ص167

فكان التحديّ شاملاً الجنّ والإنس على حد سواء. وقال تعالى:
 " أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله وأدعوه إن
 كانوا صادقين "سورة هود: 14.

وهذا التحديّ كان بالتدرّج من القرآن كله إلى عشر سور مثله
 مع الاستعانة بمن أشركوا بهم من غير الله تعالى. وتحديّهم ثالثاً
 بالإتيان ولو بسورة واحدة من مثله قال تعالى: " وإن كنتم في ريب
 مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من
 دون الله إن كنتم صادقين "سورة البقرة: 23.⁴

وقال جلّ ذكره: " أم يقولون إفتراه قل فأتوا بسورة مثله
 وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين "سورة يونس:
 38. فهذا التحديّ كان ^كبالانتقال ^{من}الجزء ^{إلى}جزء فلم
 يستطع أي أحد من الجنّ والأنس الإتيان ولو بأقصر سورة مثل
 سورة الكوثر. وبهذا يتضح أن القرآن معجز بلفظه ومعناه، يقول
 محمد الإمام الطاهر ابن عاشور: " فعجز جميع المتحدّين عن الإتيان
 بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم " (4).

إلاً أنّنا وجدنا من عارض القرآن من العرب في عصور متفاوتة
 بدأ من عهد النبوة إلى عهود متأخرة في عصر الخلافة الإسلامية.
 والمعارضة هي الإتيان بالمشابه والمحاكاة والنسج على منوال

(4) الإمام محمد الطاهر ابن عاشور: "التحرير والتنوير" ج 1، 1، 14، ص 103، م 10.

القرآن على اعتبار أن القدرة الإنسانية تستطيع الإتيان بمثله لذلك نجد جماعة عارضوا القرآن نذكر من بينهم:

* - مسيلمة الكذاب، لم علم أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه قوله تعالى: "والذَّارِيَاتْ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتِ وُقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يَسِرْنَ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمَّا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ" سورة (الذَّارَات: 1-5).

قال مسيلمة الكذاب: " والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذَّارِيَات قمحا... والشاة وألوانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض" (5). فالذي ندرکه من هذه المعارضة التناقض في السجع اللفظي فقط.

* - عبهلة بن كعب الأسود العنسي يلقب (ذا الخمار) لأنه قال: "يأتيني ذو جمار. مات قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة (6).⁵

* - أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة 354هـ قال معارضا القرآن في قوله تعالى: "والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى وما ينطلق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى" سورة (النجم: 1-5). فقال: النجم السَّيَّار في الفلك الدوَّار، والليل والنهار، إن الكافر لفي أخطار" (7).

(5) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، ص 198

(6) نفس المصدر: ص 199

(7) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، ص 200

* - طليحة بن خويلد الأسدي، يزعم أن ذا النون يأتيه بالوحي. يقول معارضا القرآن: "إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أديباركم شيئا، فاذكروا الله قياما فإن الرغوة فوق الصريح" (8). فكأنه يستكف من وضع وجوهنا فوق الأرض لما يعلوها من رغوة كالغشاء.

* - سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية وكانت في بني تغلب (وهم أخوالها) راسخة في النصرانية تزوجه ميلمة. فمن أسجاعها المعارضة للقرآن "عليكم باليمامة، ودقوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة" (9).

* - نضر ابن الحارث، من اللذين عارضوا القرآن.

* - ابن المقفع، عارض القرآن في كتابه (الدرة اليمية) وعندما قرأ قوله تعالى: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء" سورة (هود: 44) مزق ما جمع استيحاء.

* - أبو الحسن أحمد ابن يحيى المعروف بابن الراوندي عارض القرآن بكتابه "التاج" توفي سنة 293هـ وقيل سنة 301هـ وقيل سنة 345هـ أو 350هـ.

* - أبو العلاء المعري المتوفي سنة 449هـ، فقد زعم بعضهم أنه عارض القرآن بكتابه (الفصول والغايات في مجازة السور والآيات)

(8) مصطفى صادق الرافعي: "عجاز القرآن والبلاغة النبوية" ص 201

(9) نفس المصدر: ص 202-210

قال معارضا القرآن " أقسم بخالق الخيل، والريح اهابة بليل، بين الشرط ومطالع سهيل أن الكافر لطويل الويل، وإن العمر لمكفوف الذيل... الخ" (10). هذه المعارضة جاءت في قوله تعالى: "فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس إله رسول كريم." سورة (كورت: 15-20)

فهؤلاء الذين عارضوا القرآن كانت معارضاتهم صناعية يقول الرافعي: " فهذا الذي عارضوا فيه القرآن هو كل ما صدقوا وكذبوا فيه من خبر المعارضة، أما القرآن الكريم فلا يعارض بمثل فصاحته وتركيبه" (11).⁷

2- تعريف إعجاز القرآن:

الإعجاز: هو اسم للقصور من فعل الشيء، وهو ضد القدرة فإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجزة (12) والإعجاز يفيد شيئين: 1/ ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومحاكاتها.

2/ استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. يقول مصطفى صادق الرافعي: " فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت" (13) كما نستنتج منه

(10) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" ص 196-210
(11) الرافعي: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" ص 211 (انظر كشف القنوى: وفيات الأعيان: لابن خلكان)
(12) مناع القطان: "مباحث في علوم القرآن" ص 258

أمرين:

أولهما: أنه دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى أنه رسول من الله يوحى إليه هذا القرآن.

ثانيهما: أن القرآن يتفق مع الكتب السابقة من حيث كونه وحياً، ويختلف عنها من حيث كونه معجزة يقول الدكتور عدنان محمد زرزور: "إن القرآن تتريل من عند الله كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه إلى أنه ليست معجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء مما آمن على مثله البشر" (14). وهو ما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون" سورة (التوبة: 6) استجارك بمعنى استأمنك من القتل (فاجره) أمنتَه (ثم أبلغه مأمنه) وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره" (15).⁸

فالقرآن الكريم يحمل في بيانه اللفظي والمعنوي الدليل الكافي على أنه ليس من كلام من خلق الله انسههم وجنهم فكان القرآن الكريم معجزة خارقة للعادة مقرونة بالتحدي المستمر كما لما عن المعارضة.

(13) الرافعي: "عجلا القرآن الكريم" - ص156
(14) درعدنان زرزور: "علوم القرآن"، ج1، ص228
(15) "تفسير الجلالين"، ص248

يقول مناع القطان: " فكان القرآن بما يحتويه من نواحي الإعجاز يفوق كل معجزة كونيه ويعني عنها جميعاً... والإعجاز القرآني لسائر الأمم على مرّ العصور ظل ولا يزال في موقف التحدي فأسرار الكون التي يكشف عنها العلم الحديث ما هي إلى مظاهر للحقائق العليا التي ينطوي عليها سرّ هذا الوجود في خالقه ومدبره - وهو ما أجمله القرآن أو أشار إليه - فصار بهذا معجزة للإنسانية كافة" (16)

يقول مصطفى أحمد الزرقاء: " يعالج الكليات، ويغرض الأحكام ويضرب الأمثال، ويوجّه المواعظ، في عموم لا تشبه العموميات المألوفة وخطاب فيه من التجريد ما يجعل له طابعاً خاصاً منقطع النظير" (17)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

3- تاريخ نشوء كرة الأعجاز

للبحث في تاريخ نشود فكرة لا بدّ من اعتبار عنصرين لازمين للإعجاز:

*- عصر اللغة التي أعجز بها القرآن الإنسان والجنّ الأمر الذي جعل الجنّ يقول: " إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأما به" سورة (الجنّ: 2-3).

(16) مناع القطان: "مباحث في علوم القرآن" ص 260
(17) مصطفى أحمد الزرقاء: "في حديث النبوي" ص 85

٣- عنصر طبيعة الأمة العربية التي اهتمت باللغة أيما اهتمام.⁽¹¹⁾

وبذلك حصل لهم التأثير بلغة القرآن الأمر الذي يسّر للناس الدخول في دين الله أفواجا، وذلك لأن المخاطبين كانوا يدركون مدى التفاوت بين قول الشعراء والخطباء والبلغاء وبين قول الله تعالى وبذلك استمر حكمهم وما يزال على أن القرآن معجز لا يمكن لأي كائن أن يأتي بمثله، فكان القرآن معجزة خالدة تعبدها لله تعالى بتلاوته، فصلاطنا لا تصحّ إلّا به: "فالذين حكموا للقرآن بالإعجاز هم العرب أنفسهم" (18). يقول جلال الدين السيوطي: "ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقة للعادة في أسلوبه وبلاغته" (19)، ومعنى ذلك أن فكرة الإعجاز ظهرت بظهور القرآن وكان إدراك ذلك فطريا فما هي وجوه هذا الإعجاز؟ ولماذا صار القرآن معجزا؟ لم تؤسس فكرة الإعجاز ولم تقعد قواعدها إلّا في القرن الثاني حيث نشأت الفرق الإسلامية وبدأت في الظهور لقد اشتد النقاش منذ القرن الثاني للهجرة عند ظهور الفرق الإسلامية حول مسألة إعجاز القرآن يقول الدكتور عمر الملاحوشي: "واشتدّ النقاش حول مسألة إعجاز القرآن وكان أبطال هذا النقاش هم أصحاب الفرق الإسلامية الذين يعتبرون في طليعة من تناول دراسة هذه الناحية من القرآن، لأنهم أكثر من عنوا بدراسة الفلسفة

(18) من محاضرات الدكتور محمد الحبيب بن خوجة. سنة 1976/11/11-1976

(19) جلال الدين السيوطي: "الإتقان"، ج 2، ص 117

والمنطق" (20)، إلا أن الفرق الإسلامية لم تكن تهدف من دراستها للإعجاز الوصول إلى حقيقته وإنما كان هدفها الدفاع عن اتجاهاتهم المذهبية، ودحض خصومهم بالحجة والمنطق.

يقول الرافعي: "فليس لعلم الكلام همّ دون قوة الإقناع المنطقية، دون الإفحام والتعجيز" (21). من هذا الجدل المشحون بالنقاشات والمجادلات بين المتكلمين حول مسألة إعجاز القرآن، وجد المغرضون والحاقدون مجالا لينشطوا فبنفت سمومهم بين المسلمين، يدفعهم كرههم للعرب والإسلام.

وقد ركّز هؤلاء حملتهم على القرآن الكريم لأنه أساس التشريع الإسلامي ودستور المسلمين" (22) فاعتمدوا على ما تشابه منه ليوهموا أن في كتاب الله تناقضا واختلافا في النظم هدفهم من وراء ذلك إيجاد ثغرة في القرآن وإحداث شك لدى القائلين بالإعجاز بالنظم القرآني.

4- شبهات حول الإعجاز:

أ) القول بخلق القرآن:¹¹

كان أول القائلين لمسألة خلق القضاة على تلك المعجزة الكبرى لبني بن الأعصم اليهودي، فكان يقول: "أن التوراة مخلوقة، فالقرآن

(20) د. عمر الملاحوش: "نظور دراسات إعجاز القرآن" - ص 221

(21) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن" - ص 159

(22) د. عمر الملاحوش: "نظور دراسات إعجاز القرآن" - ص 222

كذلك مخلوق" وتبعه في ذلك الجعد بن درهم (23) وهو من الموالي، وقد جاهر بأرائه الغريبة هذه والمخالفة لنصوص القرآن الكريم، فقتله خالد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك - على العراق " فضحى به خالد صباح يوم عيد الأضحى المبارك" (24). وكان ذلك حوالي ثمان ومائة للهجرة (25)، ولما تولى زمام أمور الدولة غير العرب، نشيط المغرضون للقرآن يتبعون ما تشابه منه ابتغاء تأويله، اتخذوا أشكالا واضحة للطعن في القرآن من بينها القول بأنه مخلوق وقد استفحل أمر ذلك زمن أحمد بن أبي دؤاد وزير المعتصم (220هـ) وكان أول من بالغ في ذلك عيسى بن صبيح، ولنا في محنة أحمد بن حنبل خير مثال على ما وصلت إليه فكرة القول بخلق القرآن.

ب) الإعجاز بالصرفة: ¹²

لما ظهرت آراء المعتزلة ظهر القول بالإعجاز بالصرفة وكان في مقدمة القائلين بذلك:

1- أبو إسحاق إبراهيم النظام حيث قال: "إن الإعجاز كان بالصرفة" ومعنى ذلك أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة، ولكن هذا مردود

(23) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن" - ص 160 (انظر: عمر الملاحوشى تطور دراسات إعجاز القرآن. ص 215)

(24) الكامل لابن الأثير: "ج 5، طليان، ص 195-329

(25) د. عمر الملاحوش: "تطور دراسات إعجاز القرآن" - ص 216

- لأن التحدّي لم يشمل العرب وحدهم بل شمل الإنس والجن.
- 2- المرتضى (من الشيعة) قال مبيناً معنى الصرفة "أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليحيثوا بمثل القرآن" فكان يقول أنهم بلغاء يقدرّون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم ولا كان العلم في زمنهم" (26) وهذا واضح الغلط لأن القرآن لم يتزل للعرب وحدهم، كما لم يكن لزمان دون آخر، بل هو للناس كافة ولكل زمان ومكان" فالقول بالصّرفة لا يختلف عن قول العرب من قبل في القرآن: "إن هو إلاّ سحر يؤثر" (المدثر: 24، 25).
- 3- ومن القائلين بالصّرفة ابن حزم الظاهري وذلك بما ذكره في كتابه (الفصل): "لم يقل أحد إن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له أصاره معجزاً ومع من يمثله. قال... وهذا البرهان كاف لا يحتاج إلى غيره، قال الرافعي: "وهل يراد من إثبات الإعجاز للقرآن إلاّ إثبات أنه كلام الله" (27).¹³
- 4- ومن القائلين بالصّرفة أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) (ت386هـ) يقول الدكتور عمر الملاحوشي: "أن الرماني لم يرفض القول بالصّرفة وإنما جعلها أحد

(26) - مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن" - ص162

(27) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن" - ص164

وجوه الإعجاز التي قرّرها" (28).¹⁴

5- ابن سنان الخفاجي: صاحب (سرّ الفصاحة) (ت466هـ)، يقول: " وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها يتمكنون من المعارضة في وقت مرادهم ذلك" (29). بل مقرر أن في كلام العرب ما يضاهي القرآن بلاغة وفصاحة وهو بهذا يثبت للعرب القدرة على محاكاة القرآن، بل يثبت لهم القدرة على أن يأتوا بما هو أفصح.

6- الجاحظ: يقول مصطفى صادق الرافعي " لم يسلم هو أيضا من القول بالصرّفة، وإن كان قد أحفّاها وأومأ إليها، فقد سرد في موضع من كتاب (الحيوان) طائفة من أنواع العجز وردّها في العلة إلى أن الله صرف أفهام الناس عنها ورفع ذلك القصد عن صدورهم " (30). وقد أشار إلى هذا عمر الملاحوشي في كتابه (تطور دراسات إعجاز القرآن) نقلا عن الجاحظ من كتابه (الحيوان) " ومل ذلك ما رفع الله من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحدّاهم الرسول بنظمه. ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلّفه... (31). وقد أشار الإمام محمد الطاهر ابن عاشور

(28) د. عمر الملاحوشي الخفاجي: "تطور دراسات إعجاز القرآن" ص253

(29) ابن سنان الخفاجي: "سرّ الفصاحة" لا ص109

(30) مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن" ص165

إلى من قال بالصرفة فقال: "وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم القدرة أو سلبهم الداعي، ويعرف هذا القول بالصرفة" (32). وقد اعتبر الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة أن القائمين بالصرفة هم من الفرق التي تقول أن القرآن غير معجز، وذلك بقوله فالذين قالوا إن القرآن غير معجز في ذلك فرقتان: فرقة أبت الدخول في الإسلام مثل مسيلمة الكذاب، فأعرضت عن الاعتراف بالمجاز وإبداعه، هذه الطائفة انتهت وقضى عليها في الجزيرة العربية لأن الجزيرة العربية أصبحت كلها مسلمة.

-الفرقة الثانية: وهي طائفة اليهود والنصارى الذين دخلوا الإسلام إلا أنهم لا يقولون أن القرآن غير معجز، لأنهم لا يستطيعون إدراك أسرار اللغة العربية فقالوا أن القرآن بالإعجاز لم يجر على استعمالات العربية، فكيف يكون معجزاً وفيه لغات غير القرشية وإنما بلغات قبائل أخرى، فقالوا بالإعجاز بالصرفة" (33). فمسألة الإعجاز بالصرفة قال بها اليهود والنصارى ثم وجدت هوى في نفوس بعض أصحاب الفرق فقالوا بها.¹⁵

ج)المعتضون على القول بالصرفة

(31) د.عمر الملاحويش: "تطور دراسات إعجاز القرآن" - ص 262 (انظر الجاحظ "الحيوان"، ج 4، ص 85)

(32) ابن عاشور: "التحرير والتنوير" ج 1 ص 103

(33) من محاضرة محمد الحبيب بن الخوجة بتاريخ 1976/11/11

قد تصدّى للردّ على هذه الدعوى (أبو حاتم السجستاني) بكتابه (الأضداد في اللغة).

*- أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه * مجاز القرآن ويعتبر كتابه مظهراً لنشاط العلماء في هذا الباب لسببين السبب الأول: سبب تأليفه لهذا الكتاب، حين استقدمه (الفضل بن ربيع) إلى بغداد سنة (180) للهجرة، فسأله وزراء الوزير وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن قوله تعالى "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" سورة (فصلت: 65)، قائلاً لأبي عبيدة "إنما يقع الوجد والأبعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف متوهماً المسائل بأن الله سبحانه وتعالى إلقا كلم العرب على قدر كلامهم، فلم يأت بما لم يألوه، واستشهد له بيت امرئ القيس:

أبقتني والمشرقي مضاجعي*** ومسنونة زرق كانياب أغوال.
فقارن له أبو عبيدة بين رؤوس الشياطين والغول، لأن العرب لم يروا الغول أيضاً ولكن أمره يهولهم.

السبب الثاني: هو موضوع الكتاب الذي يتناول فيه أبو عبيدة طرق التعبير القرآني ليعرضها على ما للعرب من فنون التعبير فيجد لها مثيلاً فيه، شأن في ذلك شأن (ابن عباس) في ردّه عن مسائل (نافع ابن الأزرق) (34) في الاستشهاد بالشعر كما تصدّى للردّ على

انفول بالصرفة.

*-الفراء يحيى بن زكرياء في كتابه (معاني القرآن) (إلا أنه مثل من سبقه (معمر بن المثنى) لم يتناول الوقوف على ظاهرة الإعجاز بأن أوجدا خصائصها ومميزاتها وإنما كان دورهما دور المبرز لإظهار الوجهة القرآنية لا لتأسيس الظاهرة الإعجازية.

*-ومن الذين وردوا على القول بالصرفة البقالاني بكتابه (إعجاز القرآن) حيث قال: "فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله، علم أن ما أدعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان" (35).

فأهل الإعجاز يقولون إنهم كانوا يكتبون لكنهم لم يستطيعوا النسخ على منوال القرآن، كما أنهم يقولون نستطيع أن نفهم ما جاء به القرآن ولكننا لا نستطيع الإتيان به، أما أهل الصرفة فإنهم يقولون: "نستطيع أن ننسخ على منوال القرآن ولكن الله صرفنا، يقول (الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة): "فهم يلتقون جميعا في ضبط القواعد المتركة منها القرآن، وكذلك في أسلوبه" (36).¹⁶

(34) السيوطي جلال الدين: "الإتقان" ج 1 - ص 120-133

(35) د. عمر الملاحوش: "نظور دراسات إعجاز القرآن" - ص 249

(36) د. محمد الحبيب بن الخوجة: "من محاضرة بتاريخ 1977/03/17

رؤية موضوعية لضيف الله ضوية

بقلم : حسن ظاهر الرفاعي



وجه ككلّ الوجوه الخيرة من أبناء
الجهة البررة، ساهم وتبرّع بقطعة
الأرض التي أقيمت عليها مدرسة
التصريف القرآنية للمبيت بسليانة سابقا
(الجمهورية حاليا) هو المرحوم
ضيف الله بن الحاج محمد بن صالح
بن الطيّب ضوية من أصلي أولاد
عون يتصل نسب والدته بعائلة المفكر

والمؤرخ أحمد بن أبي الصيف. ولد ضيف الله سنة 1881 وزاول تعليمه
بالكتاب ثم وجه والدته إلى منزل عمه الذي كان يعرف آنذاك بـ "دحلة
المعاوين" ابن أتم حفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى جامع الزيتونة المعمور
حيث تتلمذ على يدي مشايخ ذلك العصر، وقد تم تعيينه كعادل إسهاد
بمرسوم من باي تونس محمد الحبيب باشا باي في 30 محرم الحرام 1344 هـ
الموافق لـ 20 أوت 1925 م .

هذا إلى جانب تعاطيه مهنة الفلاحة بوصفه فلاحا بمنطقة الرّبع "برقو
حاليا" ومنطقة سيدي الياهي وهنشير سليانة المتبرّع بجزء منه شيدت عليه
المدرسة المذكورة وتقدّر مساحتها بـ 03 هكتارات وهي هبة ، تقع على
مقربة من بلدة سليانة (أوائل الخمسينات) وبالتحديد في جنوبها وقد تنازل
عن حقّه في تسويق القطعة المرحوم الحاج الحفناوي بن محمد الصّالح بن

داخليين وخارجيين 130 وهكذا شرع الإطار التربوي الداخلي والخارجي في مباشرة عمله.

وعلاوة عن كونها تحتضن أبناء الأهالي المنتشرين في الأرياف، كان يومها أيضا عديد التلاميذ من مختلف أنحاء البلاد التونسية وذلك لتوفر المبيت بها، وقد أدّت هذه المدرسة باقتدار كبير دور المدارس الريفية على امتداد فترة زمنية لا بأس بها وذلك برعاية مجموعة متحمسة للخير من أهالي أولاد العون.

فإن شاء الله مدرسة النصر القرآنية للمبيت سابقا (الجمهورية حاليا) التي تأسست على قطعة من الأرض الخصبة هي بحول الله من صدقات المرحوم ضيف الله ضوية الجارية إلى جانب ما ترك من أبناء بررة وأحفاد ذاكرين فضله وكل من تعلّم في هذه المدرسة يتراحم على روحه الطاهرة .

رحم الله وأجزل ثوابه وليهدأ باله ويطمئن قلبه ونقرّ عيناه بنهضة أبناء جهته ووطنه وذلك بما وفر من صدقة جارية بنيت عليها منارة تعليمية هامة في عهد أراد فيه المستعمر طمس البصائر، ولكن رؤية ضيف الله ورؤية الخيرين من أبناء الجهة، الثاقبة والمتطابقة مع الحديث النبوي الشريف :

"إذا مات المرء انقطع عمله من الدنيا إلّا من ثلاث : صدقة جارية أو علم بهّ في صدور الناس أو ابن صالح يدعو له" .

وقد توفي رحمه الله في 15 ماي 1959 وترك من الأبناء عشرة ومن الأحفاد الكثير فمنهم من التحم بهذه المدرسة فدرس ودرّس فيها وحتى الذين نأوا عنها فالحنين يجذبهم إليها كالطبيبة سارة وأختها الأستاذة المحامية سمية والمهندسة المعمارية ليلي عبد الله ضيف الله ضوية رحم الله ضيف الله رحمة واسعة لما خلف من صدقة جارية وأبناء بررة.

في انتظار الفارس المجهول

شعر: مختار المومني

إلى عراق المقاومة

الطرقات مزدانة بالتواييت

مرشوشة بالدموع

لامعة فوق حدود الرجال الحيارى

و فوق نخود الصبايا الجميلات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

طال السير.. على ضفة الجرح

وطال انتظار الذي لا يجيء

وشهوة القتل.. تبسط فوق الجميع رداء

تجهض حلما بعيد المنال

وهذا غراب النبوءات

استحم في دمع دجلة

وارتوى من دماء الفرات

نواقيس الكنائس تخرس

صوتا لماذن ينطفي

يطرح نخل السمادة تمرا بطعم الصديد

قالوا



يجيء في الزمن السيء

فتختل التقاويم

يدخل أربيل.. البصرة... الموصل... الكوفة... بغداد

ممتطيا صهوة الحلم

يدخل كل المدائن

ممتشقا عزم الشهيد

يجمع أسلاء هذي الجموع يؤلف بين القلوب

يعزف لحن التحرر

فتعلو الحمام في سماء العراق

تبارك هذا النشيد

والجموع.. كمن مسها الوحي

تمضي إلى ساحة في الجهاد

توحد كل القبائل

تدفن حقل القبائل

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تزرع حقل السنابل

فيزهر حقل الكلام

نجماً في السواعد

من بذرة الفعل

ومن رماد الفجيرة

ينهض وجه العراق.

خيانة

ترجمة: منجي الشملي، أمال سفطة

هذا القلب الذي يملك عليّ أمري، ولا يوافق لغتي أو لباسي،

والذي تشد عليه مثل كلاب،

مشاعر مستعارة وعادات



اورويّة: أتشعرون هذا العذاب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبهذا القنوط الذي لا يعدله قنوط

ليمتلك، بكلمات آتية من فرنسا،

هذا القلب الذي وهبته لي ارض السينغال؟

ليون لالو Léon Laleau (شاعر سينيغالي)

حكي الربّاب

شعر: أميرة الرويقي

كنت ربّابا

حين تدلّت من فوق الإله

صغيري الكستائيّة

كنت علّقا

حين دقّت أجراس

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

العتمة

كنت عرقا

تصبّب يقينا

من جباه الكادحين

أين قناديل الغرباء

تمحو أتربة الوجع؟

والرفوف تصاعد من صدا؟

وأقواس قزح

تتكسر؟

والطين .. ظلّ فوق غبار؟

وزغاريد النسوة تنمو فوق الصقيع؟

لا تحيء الحديقة

والوهن رابض فوق التوايا

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والأمنيات

نبات يحتم فوق الهراء القديم؟

يرتق أبصاره الرباب

تقتلع الأوهاق من سباتها

أين، في دمع الحرير التابي

ظفيري الكستانية؟!

أين موسى

و"طوى" قد شحّ للتزيف الآتي؟

أين يسوع

والمرافئ قد أغرقت في الوحل الهرم

أجساد العذراء؟

تتقيأ روحاً؟

تنبؤاً منفي؟



تجتزّ حزناً؟ <http://Archivebeta.Sakhril.com>

بورق الحزن عند عتبات التدي

شجر زقوم

يستيقظ الربّاب في رأسي،

أدرك أن الساعة ما تزال تنسج الصّمت.

مراث.. على أجنحة الذهول

شعر: صفاء ذياب

الليل فرّ من يدي.. والصباح بعيد
على أيما مركب سأطفو بباحة داري؟
حينما خرجت...

وجدت المساءات على المشائق مترفات

والنجوم التي لم ترتديها السماء

ارتديها المنافي

خاوية من المرايا والضيءات التي

نثرت أطفالها بوجه اليباب.

تركت الأفاعي ترتدي (عصابة) أُمّي

والسجائر التي ما عادت سوى رماد

نثرها الرياح.. فنذهل..

أصعد السماء.. لأجمع الغيوم.. فتفتق

هذي السماء..

مفتحة أبواها بين أناملّي

يُخرج كلّ الأولياء واحدا واحدا

لزوج النجوم من طريقي

ساريا فوق الليل..

أنثر البرد على أمي المكونة وسط اليابس

أتضرّع للفراغ القاطن بين الغيوم

لأخلق من السديم نعشا

يلفّ أجزائي المائلة للشمالة.

أنا الورد،

ما إن غفوت حتى تكوم الكون كالتدى عليّ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أفتح عيوني

فتهبّ عاصفة من الزنابق

تخرج الصباحيات من شفاهي

عشرون قرنا من الفراغ

ترزع الحكايات فوق رؤوس آبائنا

حتى أصبحت الحمولات التي يكرعوها أساطير..

والموائ التي يخبتون بها جيوبهم

ثكنات العبيّ المحمرة من خجل الجنون.

هكذا... أثار جح

ممسكا بالشمس

أرى الغابات ملطخة كأنها بقعة دم

بين يدي طفلة تدارى لعبتها

وتخبّوها من المفصلة.

واخيطات التي اجتمعت لمسح الملكوت

بفيضانات يخبّوها الإله..

والصحارى التي تطمس بين فخذيها الألواح.

أصرخ منذ اللقائف..

وحبلي السري الذي لمّا يزل يسحب منوّني

ومن ثنية أمي... وهي تخاف عليّ من المذابح

والهتافات التي تملأ المدينة...

أدنو.. كلّ شيء مبعر هنا.. وأنت نظام

الملكوت الفائض عن حاجته كلّ ينباع والعصافير التي

بلّلت أردانها دما منذ الزغب الأصفر، والأشجار التي

حقنت الثمار لنلا يختطفها المدار، التي تعكس

المرايا والهتافات التي مسخت كلّ الضجيج.

والترجسيات التي لبست الحداد على أول بياض
يخفقه الهباء.

أدنو.. كل شيء تيد.. وأنت طريق..)

النهار مبرقع بالدخان

تعبر كل السفائن والمراكب تحتي

وأنا متجمع كائي كروم يخمرها السكارى

الأرض شق تائه بين المراثي

والسماء مبللة بالدموع

هنا قمر وسط عيوني

ينتظر الشمس وهي تحمل أطفالها

هنا نجمة تنالاً بين شفاهي

ضيعت كل الملامح والتواشيع التي أسبلت عيونها

وأنا كون يحمل أسماله..

حبيبي التي تمنح القبلات لكل زائر

مدينتي التي تركت جنائنها بين الخراب

منذنتي المائلة حتى إشعار آخر للغروب

كلها.. كلها.. كلها.. تأ

القلب يغرقه الحنين

شعر: جهاد الكريفي

كل ابتساماتك تبكي

والقلب يغرقه الحنين

شارعك مزدحم

الماضي مكتظ بالعواصف والأنين

نبضات الساعة
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في عينيك تضطرب

يأسرها الفجر القادم

من نبضات الليل

من دفء المناجاة

أمس اقترفت ذنبك الآخر

هربت قصائده

إلى عواصم الوقت الحزين

رجعت بالعطر هزانمك

واليوم أنت على بعد

الصرخة المختنقة

بلا حلم

تقطعين مسافات الموت

تفتشين بين أحزانك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عن الشمس

صباح الخير يا سيدة الصباحات

صباح الدفء..

صباح الحلم الجميل..

صباح الضياء..

نقاد آخر زمان

بقلم: نجاح زقية

صادفت مؤخرًا هاوية شابة للأدب والإبداع القصصي ووجدتها في حالة نفسية صعبة بسبب حالة إحباط أصابتها عندما أساء أستاذها مادة اللغة العربية وفي الآن نفسه يقوم بتنشيط ناديها الأدبي، أساء تقييم إحدى قصصها القصيرة وأهداها مقولة نقدية عجيبة حقًا وغاية في الابتداء: {قصتك الأخيرة يا تلميذتي النحبة أشبه ما يكون بإطلاق ربح فكري}

ها أقول إنه وإن كان حكم الأستاذ على هذا النحو - وهو ما يدعو للأسف - فإنه ليس عليك تعظيم تجاربك القصصية لمجرد إرضاء حواس الآخرين وعقولهم بل عليك محاولة التطور وصقل الموهبة ذلك أن كل الأعمال التي نسميها إبداعًا فنيًا مدعّين ذلك عن صواب أو عن خطأ، هي في نهاية المطاف متنفس تعبري غير عادي ومتفاوت على مستوى التقبل من لدن الذائقة المتلقية ويحتاج دوماً للتشجيع والموازرة، فلا يجب على المبدع أن يخشى الأحكام المسبقة والذاتية السطحية أو يرضخ لها مصدومًا محبطًا، أو يكثر لنقاد قد يفتقدون للرؤية العميقة وبعضهم من صنف أولئك الذين إذا لم يجدوا ما يكرهون كرهوا

أنفسهم، الخشية الدائمة من الأحكام المسبقة تُمزّ ثِقَة الفنان بنفسه وتقتل موهبته، ولأنّ المرء في أغلب الأحيان لا يستحق سمعة الفنان المبدع ما لم يرمى بأبشع الأحكام، وما لم تلتصق بشخصيته أقيح الصفات، عليه باستمرار أن يكون مستعداً لدفع الضريبة وإلا فليصمت ويدفن موهبته ويستريح، على هذا المنهاج يفكر حلّ المبدعين الراسخة أقدامهم في بحالات إبداعهم منذ بداية الزمان وإلى آخر الزمان، من نوعيّة "بيتهوفن" عبقرى الموسيقى العالمية، هذا الفنان على وجه المثال كان يقول لصديقه "أنا هولتز" ملهمته التي شجّعها وصقل موهبتها: "إنّ الفنان الحقيقي شخص تعلّم كيف يثق بنفسه"، وكان ينصحها بلين تارة وغلظة تارة أخرى: "أنت تقلديني وما مرة داعي لتقليدي لأنّ العالم لا يحتاج لبيتهوفن جديد"، وعندما أبدع مقطوعة "عروس فيوغ" التي أرادها حسرا بينه وبين صديقه "آنا" ولم يتقبلها الجمهور حتى إنّ أحدهم تمكّم عليه قائلا: "أنت أكثر صمما مما اعتقدنا" تأثر حتى أغمى عليه ولكنه استنهض الهمة واستمرّ مردّدا: "الله يهمس في آذان البعض ولكنه يصرخ في أذنيّ لذا أنا أصم"، هذا الفنان غريب الأطوار كما كان يوصف، لم يكن يطرب للإطراء عندما يحكمون له بالنجاح، ولم يستسلم قطّ عندما حكموا عليه بالفشل، وكان مؤمنا بأنّ تلك المقطوعة الموسيقية المرفوضة والمستهجنة ستصبح هي بالذات مصدر

إفهام لأجيال من الموسيقيين، إذن ما من داعي للتحسّس من لُحمة إطلاق
الريح الفكري أو الجنون وغرابة الأطوار والانحراف النفسي الخارج عن
حدود المنطق والمألوف، فالظن أنّ للجنينات تأثيراً عحيياً فينا، والمعروف
أنّ لتلك التهم البغيضة التصاق كبير بالفنّانين والمبدعين، والأبطال
الخارقين: "ييكاسو" و"ديفنشي" الرسّامين الماهرين اعتبروا مهووسين
لأسباب تتعلّق بالسلوك الشخصي، و"أنشتاين" أكثر البشر ذكاء لم
يكن معاصروه يفهمون معادلاته و قيل عنه غريب الأطوار بسبب
تسريحة شعره، و"جاندارك" النضال، كانت صاحبة حالة نفسية لألها
تستمع لأصوات مبهمّة وخفية... قائمة العظماء الذين صنعوا التاريخ
الإنساني وأنهموا في مواهبهم وحقوقهم ونفوسهم طويّة جداً، وهي تعز
بأن نكون متوافقين مع الذات التي أعطينا فلا توجد محالّات لشراء
الشخصية المرغوبة أو الموهبة المطلوبة، ومن يهتم أكثر بإنجازاته وأعماله
ويسعى لتطويرها بعيداً عن الغرور المرضي الذي يجعله حبيس الترجسية
وكذلك بعيداً عن الخضوع للأحكام الخارجية يستطيع المضي قدماً على
درب النجاح، أمّا المتفوق داحل شرنفته أو الرافض لُبة التميّز والتفرد
خشية الإحباط والانعزال والإقصاء، فقد لا يغدو شيئاً البتة وقد لا يحقق
شيئاً بالمرّة.

أحوال

قصة: بهيجة الدلالي

أيّ شرّ؟ أيّ إثم اقترفته في حياتي حتى يتليني الله بولد مثله كعقاب لي في الدنيا قبل الآخرة؟ يا لحظّي العائر من دون خلق الله... تعالوا معي نجوب القرية وندخل بيوتها بيتا بيتا وإن وجدتم شابا في مثل سنّه نائما إلى هذه السّاعة عاقبوني... ابصقوا في وجهه... ارحموني حتى... لا... تبوّلوا على جسدي بعدما تطرحوني أرضا... عندما كنت في سنّه ترك أبي في كفالي ثمانية أنفار وانتقل إلى الرّفيق الأعلى... كنت أعمل سنّة عشر ساعة يوميّا لأوفر لهم اللّقم... اشتغلت في الحقول... في البناء... في المطاعم... في ترميم الطرقات لا توجد مهنة على وجه الأرض إلّا ولي فيها تجربة... لكن صحيح مثلما يقولون النار تغلف الرماد... آه... أنا الذي ساعداني لا يعرفان الكلل والملل برز أيّ الله بابني لا يوجد في الكون كلّ من يضاهيه في الكسل والنوم والأكل والتدخين.

هذا الكلام المليء بالغضب والعتاب واللوم نسمعه كشريط مسجّل كل صباح من العمّ خلف وهو يزرع صحن الدار جيئة وذهابا يخاطب زوجته وبناته الثلاث منتقدا ابنه حامد قبل أن يخرج إلى متجره الصّغير المتواضع جدّا أحيانا يجناز عتبة الباب ويخطو خطوتين أو ثلاث ثم يعود باصفا حيناً

متحمضاً أحياناً ليكمل لزامته التي اعتادها كل مطلع يوم ويأمر زوجته في حماسة وغضب:

أيقظيه... قولي له أنت بلا قلب... مجرد من كل طموح أنت لست رجلاً... قولي له أنت حمار (وفي سحرية) حمار؟ حمار؟ لا الحمار أحسن منه... على الأقل مفيد يقوم بخدمات كثيرة أما هو فلا فائدة تجني من ورائه... قولي له انفض واسأل كل من يجاوروننا عن أندادك وأترابك أين هم الآن؟... كلهم خرجوا إلى أعمالهم ووظائفهم... كلهم يساعدون ذويهم بروايتهم آه يا للنحس الذي يترتب في طول حياتي... آلاف المرات اقترحت عليه مئات الأعمال والمهن لكن نصائح كلها ذهبت أدراج الرياح... ملايين مثله لم يستعقبهم الحظ في المظاهرات للانخراط في الوظائف الحكومية ذهبوا يشتغلون في المعامل والمصانع!...

من عادة أم حامد أن تبتلع معارضتها لزوجها... يضيق صدرها من هجومه ولا ينطلق لسانها أبداً لكن هذا الصباح فاص بها الكيل وبلغ القلب الخنصرة ولم تعد تتحمل هجوم زوجها القاسي... التفتت إليه وقد ضربت صدرها في صرخة احتجاج:

- ابني أنا بعد سنوات طويلة من التعليم وتعبه وكده واحتيازه لمصاعب الامتحانات ونيله كل الشهائد تريده أن ينخرط في عمل لا يناسب مؤهلاته؟ ماذا جرى في الدنيا يا إلهي (ويخفق صوتها وهي تحبس عرقها) كم رأيته في أحلام يقظتي يعتلي أرقى المناصب في إحدى الوزارات أو

أستاذًا يزود النشء بالعلم والمعرفة. أكثر عليّ يا رب أن أرى ابنِي في منصب مشرف؟

يقاطعها خلف وقد زاد تقطيب حبيته العريض واتساع منخري أنفه الضخم.

- نوحى.. نوحى وعددي.. أنت التي أفسدته بعطفك عليه وحنانك المفرط لو تركته بلا أكل وبلا سحائر سيضطرّ للخروج والبحث عن شغل ليعيل نفسه على الأقلّ أنا الحمد لله لست محتاجا لنقوده. مادامت صحيّ على ما يرام أقتلح المليم حتى من الصّخر.

وهنا تكلمت أم حامد:

- بنيتها الضّعيفة وصحّته لا تسمح له بممارسة الأعمال المضنية، الوظيفة المناسبة له التعليم أو موظف في مكتب بإحدى المؤسسات وهذا ما يطمح هو إليه...

- وما لها صحّته؟ كفاك يا امرأة من التعليلات و التبريرات الواهية والتعاس الأعذار له. علّة ابنك الخمول، الكسل، والتوم، لو لمحض باكرا وتحرك قليلا وعمل سترين كم سيصبح نشيطا، الأعمال المضنية رياضة للجسم إلى هذه اللحظة من عمري لم أدخل عيادة طبيب ليكشف عليّ، أتدريين لماذا؟ لأنّي أعمل مثل بغل... ثم أشعل سيجارة أخرى وأخذ منها نفسا طويلا لبحذّهما بعد ذلك من بين شفّتيه الغليظتين الداكن لوكهما فيتبعثر الدخان في الأرجاء ويواصل) تقولين بأنه يطمح أن يصبح بين عشية

وضحاها أستاذًا بأحد المعاهد (وفي سخرية) هكذا بكل سهولة... أنت في عبقرية نامة عن واقعنا وحاضرنا ومازلت تعلمين بالزمن الجميل يوم كان الطالب يتعين فور تخرجه.... لا يا للاً في يومنا هذا فرص العمل ضئيلة والدخول إلى سلك التعليم وتعيينه أستاذًا أصبح بالمناظرة وهذه رابع أو خامس مرة يجري ابنك المناظرة ويرفض من قبل اللجان المختصة لذا شهادة الأستاذية الحاصل عليها في مادة التاريخ قولي لابنك (يلها ويشرب ماءها)...

وهنا زاد غضب أم حامد وغلت الدماء في رأسها فاندفعت الصرخات من حلقها حتى نفرت كل عروقها ورأت أن تسلق زوجها بلسان حاد:

- كففاك حدة مع الولد يا عديم الخنآن والرحمة كلامك هذا زاد في إحباطه، به حطمت معتوياتنا وطموحه لماذا تقسو عليه، ألا يكفيه ما هو فيه... ألا تعرف الصبر يا رجل.... سترى سيوظف ابني بمشيئة الله ومساعدة السيدة التي تشتغل عندها (هنية) ابنة أخي فقد وعدتنا بأنها سوف تتوسط له في وظيفة لأن لها قدم صدق وغير عند بعض الوجهاء الذين يحتلون مراكز لا بأس بها وكلمتهم هي العليا إي والله وعدتنا وأقسمت في ميمينها بأن لا تتوان في مساعدتنا وهذه السيدة حسبما حدثتني عنها ابنة أخي إنسانة خدومة وطيبة وثقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فقط المسكينة طلبت مبلغا من المال

كهديّة نقدّمها معبرين عن شكرنا وامتناننا من يسعي لأبنا في الحصول على عمل فالذي يسعي لا بد أن يجزي الجزاء الأوفى.

وقاطعها خلف ساخرًا:

- مبلغ من المال كهديّة بسيطة!

- أي نعم ولم لا كل إنسان يجزي بما يسعي ويقال بأن المسائل المستعصية أمام الهدايا تصبح مرنّة.

- إذا لديك مال قدميه (إن شاء الله على يدك نحمو)

- دع الأمر لي ولا تشغل بالك، بعث لخلخالٍ واسورني الأسبوع الفارط وسلّمتها المبلغ...

وهنا زاد اشتعال قنبل غضب خلف... فأوارها ظهره متّحها نحو الباب وهو بعض أنامله من الغيظ: <http://Archivebeta.Sakhi.net>

- والله لو بعث نفسك حتّى، ابنك فاشل... ابنك ليس فارغ وكما يقولون الكيس الفارغ لا ينتصب ولو فعلنا المستحيل... قذف خلف حممه كالركان الثائر في وجه زوجته وخرج ليركها تنتحب في صمت وتمتم: - ابني ليس بفاشل وإنما يحتاج إلى فرصة لإثبات وجوده وجدارته وتحقيق ما يصبو إليه.

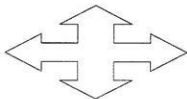
الأزمة التي تكرر يومياً يسمعها حامد كلّ صباح وهو ممدّد في فراشه، حالة من الاغتراب واليأس استولت عليه وجعلته ملازماً لحجرته لا يفارقها إلّا للضرورة القصوى... لا يتكلّم... لا يسأل... ولا يرد... لكن في

أغواره ثورة من الغضب تصطبح وتضطرم. إلى متى سينحمل هجوم أبيه عليه وكلّ المحيطين به من الأقارب... الكلّ ينتقدونه ويتحاملون عليه عدا أمّه... يتهمونه بالسلبية والتقصير معتقدين أن هجومهم هذا سيوظف فيه روح العمل والجدّ لكن ما جرى هو العكس فتحايلهم لم يزدّه إلّا إحباطا... وما يغيضه أكثر مقارناهم له بأترابه... ليتهم يكفّون عن هذه المقارنات الركيكة ومحاسنتهم له في كلّ يوم... ليتهم يدركون كم طحن كلامهم أعصابه وامتصّ البقبة الباقية من حيويته... ما بالهم؟ أیظنون أنّه راض عن نفسه وعن حالته أم يحسبونه جذلان يهزّه الطرب عندما يمدّ يده إلى أمّه لتحود عليه بمليمات ثمن السحارة؟! أو هو غير واع بما يدور حوالبه! من الرّجل الذي لا يريد أن يثبت وجوده ويكون فردا حالما في مجتمعه ويساهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. أبوه ينحي عليه باللائمة لماذا لا يمارس أيّ مهنة ولو متواضعة للحصول على مصروفه الخاص على الأقلّ بدل التوهم وضياح الوقت. من قال أنّه لم يحاول؟ حتى هذه المهن استعصت عليه هي الأخرى وغدت غير متوفّرة... ما العمل! أبواب الشغل موصدة في وجهه أينما يولّيه وأبوه ضاق ذرعا بملازمته غرفته طول الوقت... أين سيّحه إلى أين المفرّ؟ وإلى أين الهروب! لو بيده هاجر إلى أبعد نقطة في الأرض... إلى أقصى بقاع الدّنيا علّه يجد سعيه ويستريح من هجمات أبيه الصباحية حتى أمّه المسكينة أصبحت تتعرض للمضايقات من أبيه بسببه وآخرها هذا الصباح ليته يجد مخرجا أو حلا يغيّر الأحوال.

سرح حامد بخواطره يفكر ويفكر ويتقنّب في فراشه ذات اليمين وذات الشمال وأمه في فناء الدار تنتحب في صمت بعد خروج خلف ويتهل إلى الله أن لا يذهب ثمن الخلخال والأسورة سدى.

العمر يجري والآيام تمرّ على حامد حالكة مصحوبة بسوء الطالع والحال في سره نحو الأسوأ... هجوم أبيه لم ينقطع يوما والأرض ضاقت عليه بما رحبت إلى أن ولجت أمه حجرته ذات صباح كعادتها حاملة صينية الإفطار فلم تجده كما تعودت فرحت الأم وعندما أخبرت خلف لهلت أساريه... أكيد ابنيها استيقظ من ركوده وجموده وخرج يتغي فضلا من الله... أتكون السيدة أوصلت المبلغ ووقت بوعدا ودعته لاستلام الوظيفة وتكتم هو على الخير فهو بطبعه قليل الكلام؟ نظرا الألوان إلى بعضهما وتنفسا الصعداء... انشروا نفسيهما وأمثالكم بالأماني العذبة!

بعد وقت قصير سمعا جلبة ووقع أقدام وأزيز سيّارة ونباح الكلب والكلّ قادم نحو بيتهما فخرجا يستطلعان الأمر فإذا بهما أمام عوي شرطة وجمع من الناس جاؤوا يحملون إليهما نيا عثورهم على حامد جثة هامدة تدلّى من شجرة ليست بعيدة عنهما والبحث عن سبب موته جاري...



السّر

قصة: بسمّة البوعبيدي

ها هي الأرض يتبدّل شكلها... يصبح لها رأس.. رأس له قرنان..
تصبح في شكل ثور كما في الحكايات القديمة... ثور يخور يخور يهز
رأسه... وها هي على رأس الثور تخرّ وتكاد تسقط... منشّبة
بالقرنين... تصرخ رعبا... تصرخ وحدة.. تصرخ بأسا يزداد حوار
الثور وهيحانه... تنطلق النار مع أنفاسه... يتفجر الجحيم من أنفه
وقمه.. تلفحها النار.. تصهدها.. تشتعل.. تحترق... تتفحم، وتبعث
من جديد على نفس الوضع لتعيد سلسلة العذاب...
حين عاودها ذاك الألم الحادّ في عبوره، وتلك الكواليس، هبت من بين
طبّات الفراش وليل محتدم حولها يستمدّ منها قشاة قديمة. واجهت -
بجهد خائر أبادته سنوات عمر ارتدّ إلى أرذله - رياحا شتويّة تصارع
التافذة. قالت ومازال صوتهما أنثويّا في غير تناسق مع ما صيرتها الأيام
إليه:

-لا بدّ أن أكشف له قبل أن ارتدى إلى الهوّة التي باتت رائحتها تكتم
أنفاسي لا بدّ أن... وامتدّت يدها المرتعشة قليلا لتحسّس في الظلام
عمّا تسند عطلوها.

كان هو هناك... لا شك أنه هناك.. صوت الغمامة الزائرة أثناء
سباته تلهيها وجعا كما كانت في لياليها الغائبة، تذكر جيدا لياليها
تلك.

كانت نجومها تشتعل وتتكدس حمرا بين غديها، وكانت تغزل لها
الظلام خيوطا تشدها من أهدابها... وهو هناك... في الغرفة الأخرى
يرقد مجللا بالسواد وبالأمبالاة، لا شيء يشي بحياته غير ذاك الصوت
الموجع المنبعث من فمه المفتوح للظلام. أه من الوجع والظلام والتشيع
الصامت.

كان هناك.. والخطر إليه كما الخطر على الحصى المتهيب كاو، ولكن،
لا بد...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اصطدمت بالباب المنفرج قبل أن تدلف منه واصطدمت ذاكرتها بتلك
الليالي الفاصلة...

في تلافيف الذاكرة باتت ليالي تعدد دقائقها على انبلاج صبح يسكت
احتجاج كل خلاياها... وكان هو هناك... يتجنب جسدها
المتهيب... يخشى الاكتواء.

كان هناك... يتعد... يتعد، ويترك مكانا للحمى تنهش كل ما
فيها طافرا بالحب والحياة، للسفايد الحممة تشكها شكا، لل... ولكن
لا بد أن تكشف السر.

تمطى نور شحيح في الممر لفانوس صغير، حطت على هديه
تتماسك... بعيدة هي المسافة إليه، تمططت فيها السنون ورزحت
بكلكلها على أيام عمرها معا... لا بد من قطع المسافة وإلقاء ما في
صدرها عليه.

باغتتها سؤال تعثر له خطوها وألزمها مكافأ. - ماذا لو ترهق كلمافا
روحه وهي تلقي بما إليه... ألا يكون ذنبها بعد ذاك أعظم؟ وهل تحمل
وزره؟ ...

كيف أمعن في الغياب حتى بدا كشيخ بنواري؟ ولماذا؟
الدراجات المؤدية إلى الطابق العلوي صعدها لاهته في وقفنها المترحة
وهي تدرج... في الخارج مارلت الرياح تشحب بشدة تصدها الجدران
والمنافذ الموصدة عن الاقتحام... ما أشق الوصول إليه... وأخيرا وحين
شارفت أنفاسها على الانقطاع، كانت تضع يدها على مقبض باب
غرفته...

عاودها الألم وهي تفتح الباب ببطء... وكان أن فاجأته هناك... يتأمل
صورة، تاركا اصبعه الحاي ينساب في لدّة مع الخصلات التورانية
يتبعها حتى آخر العنق ثم أعلى الصدر، حتى تنام في خشوع على القمة
الناهرة.